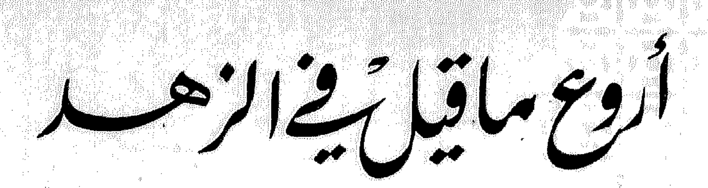


الدكتور يحيى شامي



دار الفكر العربي
بيروت



أروع ما قيل في الزهد



أروع ما قيل في الزهد

الدكتور يحيى شامي



دار الفكر العربي
بيروت





دار الفكر العربي

للطباعة والنشر

كورنيش المزرعة - مقابل بنك بيروت والرياض
بناية ميدواي سنتر - طابق ٥ - هاتف ٨١٧٢٨٨
ص.ب : ١٤/٥٠٧٠ - بيروت - لبنان

الطبعة الاولى ١٩٩٢

مقدمة

الزهد، في اللغة، خلاف الرغبة في الشيء، أو الحرص عليه. وفي الاصطلاح هو الكفّ عن المحارم، والتوبة إلى الله؛ وهو القناعة، والاكتفاء بالحاجة، والرضى بالقليل، وصرف النظر عن بهرج الحياة وزينتها؛ وهو نهي النفس عن الهوى، وتخلية القلب، وصفاؤه، ورقته وشفافيته.

والزهد أحد أغراض الشعر العربي الغنائي، خطا خطواته الأولى بصورة غير مستقلة، فظهر أول ما ظهر، في تضاعيف القصيدة الحكمية، أو غير الحكمية، وما لبث أن استقل بنفسه، فكان ثمة قصائد ومقطوعات شعرية مستقلة، وأضحى له روّاده وعشاقه وممثلوه الحقيقيون.

والزهد بخلاف التصوف الذي هو الانقطاع التام عن الدنيا، والانصراف إلى العبادة، والاستغراق في ذات الله، والذوبان في عالم الروح الأرحب؛ وهو يشكل بحد ذاته مذهباً فكرياً قائماً بنفسه، ويحتاج إلى بحث مستقل ليس في هذا الكتاب

مجال الحديث عنه، أو انتخاب نماذج شعرية منه.

ولا ينكر دور الإسلام في تعزيز ظاهرة الزهد، ذلك أن تعاليم الدين الجديد تحث، بوجه عام، على الورع، والتزود بالتقوى، والعمل للآخرة بالتهجد والعبارة، والانقطاع عن الرغبة في الحياة الدنيا.

وثمة عوامل كان لها تأثير في ازدهار الشعر الزهدي، ولا سيما في العصر العباسي، وفي القرنين الثاني والثالث للهجرة خاصةً، منها العامل السياسي، ويتمثل بانصراف عدد من الشعراء إلى قول شعر الزهد بعيداً عن الخوض في المسائل السياسية والدينية والمذهبية التي كانت قائمة يوم ذاك، والتي كانت تشكل لبّ الصراع بين العرب والموالي، والأموية والعباسية، والقيسية واليمنية، وبين القدرية والجبرية، والمرجئة والمعتزلة والأشعرية، والشيعية والسنّية... إلخ.

ومن العوامل التي ساعدت على ظهور شعر الزهد، العامل الاجتماعي الأخلاقي، ويتمثل بظهور فئة من الشعراء الذين ساءهم شيوع اللهو والمجون، وتفشي الخمرة والغناء، وكثرة عدد الجواري والإماء والغلمان، فلم يستطع هؤلاء الشعراء أن يقفوا في وجه هذا التيار الجائش، فعكفوا على ذواتهم، وراحوا يعبرون عن نقمتهم وسخطهم، بالإخلاص إلى أنفسهم نجيّاً، وبالتعبير عن صفاء النفس بأروع آيات الشعر الزهدي.

وثمة عامل هو العامل الثقافي الذي على أساسه تبلورت مفاهيم الزهد، وأرسيت قواعده، ويتمثل بتأثير الأفكار الصوفية الدخيلة من فارسية وهندية ويونانية ومسيحية، فظهر أثر هذا كله في فكر عدد من كبار الشعراء الزهاد.

وأياً يكن العامل المؤثر في ظهور شعر الزهد، هذا النبع الثري الذي فاضت به قرائح الشعراء، وإليه اطمأنت نفوسهم التي تمردت على الطمع والشره والترف، مستنيرة بهدي العقل والدين، فإن مما لا شك فيه أن بواكير هذا الشعر ظهرت في العصر الجاهلي، وإن لنا في شعر بشر بن أبي خازم، ولبيد بن ربيعة العامري، وعدي بن زيد العبادي، في العصر المذكور، وفي حكمة علي بن أبي طالب وفي الشعر المنسوب إليه، في العصر الإسلامي، وفي شعر منصور التميمي، ومحمد بن يسير، وعبد الله بن المبارك، ومحمود الوراق، وصالح بن عبد القدوس، وأبي نواس، وأبي العتاهية، في العصر العباسي، ما يعزز ما ذهبنا إليه من قبل، فكانت أشعار هؤلاء جميعاً، وأشعار غيرهم من الشعراء دليلاً صادقاً على تعزيز ظاهره الزهد، وبروز هذا الغرض الشعري الذي أخذ مكانه عالياً في أغراض الشعر الغنائي العربي.

واستتباعاً للفائدة، وتمشياً مع أصول البحث المنهجي، وانسجاماً مع تدرج الشعر في عصور الأدب العربي، ولأن جلّ

ما قيل في الزهد، كـان ثمرة مواهب شعراء العصر العباسي، فإننا قسمنا هذا الكتاب إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي التالية:

١ ـ في ما قبل العصر العباسي.
٢ ـ في العصر العباسي.
٣ ـ في ما بعد العصر العباسي.

والمهم في الأمر، هو أننا حرصنا، في هذا الكتاب، على أن نشرك القاريء في أمر اختيارنـا أفضل مـا قيل في شعـر الزهد، ومن هنا كان اسم الكتاب «أروع ما قيل في الزهد»، فإن سرّ قارئنا ما اخترناه له فنعمّـا ذلك، وإن سـاءه أو أضرّ بذوقه، فمعذرة من الذنب، واعتذاراً عن سقم الذوق وسـوء الاختيار. وإلى اللقاء في غرض آخر من أغراض شعرنا العربي الغنائي.

د. يحيى شامي

الباب الأول

في ما قبل العصر العباسي

عدي بن زيد

(وكذاك الدهر حالاً بعد حال)

من رائع الشعر الحكمي والزهدي معاً، وهو على قدر كبير من الجودة، والمتانة، والرقة، والسلاسة معاً، ما قاله الشاعر الجاهلي عدي بن زيد العبادي، وكان النعمان بن المنذر بن ماء السماء، ملك الحيرة قد نزل، ومعه عدي، في ظل شجرة مونقة ليلهو هناك، فقال له عدي: أيها الملك، أبيت اللعن، أتدري ما تقول هذه الشجرة؟ قال: وما الذي تقول؟ قال: تقول:

مَنْ رآنا فَلْيُحَدِّثْ نَفْسَهُ
أَنَّهُ مُوفٍ على قرنِ زوالِ
وصُروفُ الدَّهرِ لا يبقى لها
ولما تأتي بهِ صُمُّ الجبال

رُبَّ رَكْبٍ قد أناخوا حَوْلَنا
يمزجونَ الخمرَ بالماءِ الزّلال
والأباريقُ عليها فُدُمٌ
وجيادُ الخيلِ تَرْدي في الجلال
عمروا الدَّهْرَ بعيشٍ حَسَنٍ
قطعوا دهرَهُمُ غيرَ عجال
ثم أضحوا عَصَفَ الدَهرُ بِهِمْ
وكذاكَ الدهرُ حالاً بعدَ حالِ(١)

* * *

(أينَ أهل الديار)

ومن أحسن ما قاله عدي، وكان سفيان بن عيينة يستحسنه، قوله:

أينَ أهلُ الديارِ مِنْ قومِ نوحٍ
ثم عادٌ مِن بعدِها وثمودُ
بينما همْ على الأسِرَةِ والأنماطِ
أفضَتْ إلى التُرابِ الخدودُ

(١) الكامل في اللغة والأدب ١/٢٩٤. مكتبة المعارف. بيروت. وموفٍ: مشرف. وصروف الدهر: حوادثه وشدائده. وصم الجبال القوية الصلبة. والزلال: الصافي الرائق العذب. والفدم: أغطية أباريق الخمر. وتردي: تسرع.

وصحيح أمس يعود مريضاً
وهو أدنى للموتِ فمن يعودُ
ثم لم ينقضِ الحديثُ ولكنْ
بعد ذا كلِّه وذاكَ الوعيدُ(١)

* * *

(أين كسرى)

، رائع شعر عدي، قوله في الزهد، وفي وصف الدنيا:

أيْنَ كِسْرى كسرى الملوكِ
أنوشروانَ أمْ أينَ قبلَه سابورُ
وبنو الأصفرِ الكرامِ ملوك الرّومِ
لم يبقَ منهمُ مذكور
وأخو الحضْنِ إذْ بناه وإذ دجلة
تُجبى إليه والخابورُ
شادَهُ مرمراً وجلَّلَه كِلْساً
فللطّيْرِ في ذراهُ وكور
لم يهبْه ريبُ المنونِ فبادَ
الملكُ عنه فبابُه مهجور

د الفريد، لابن عبد ربه ١/٣٢٣. لجنة التأليف والترجمة والنشر اهرة ١٩٦٥ م.

ثـم صـاروا كـأنـهـم وَرَقٌ جَـفَّ
فـألـوَتْ بـهِ الـصَّبَـا والـدَّبـورُ(١)

* * *

جبلة بن حريث

(والدهر في كل حاليّه دهارير)

ومن أروع شعر الزهد، وأرقه، وأكثره إثارة، قول جبلة بن حريث العذري مناجياً نفسه، مخاطباً قلبه:

يـا قلبُ إنَّـكَ في الأحيـاءِ مغـرورُ
فَـاذْكُـرْ وهـلْ ينفعنْـكَ اليـومَ تـذكيـرُ
حتّى متى أنتَ فيـهـا مُـذْنَفٌ وَلِـهٌ
لا يستفِـزَّنْـكَ منهـا البـدرُ والحـورُ
قد بُحْتَ بِالجهلِ لا تُخفيهِ عنْ أحـدٍ
حتى جـرتْ بـكَ أطـلاقٌ محـاضيـر
تـريـدُ أمـراً فمـا تـدرِي أعـاجلُهُ
خيـرٌ لِنَفْسِـكَ أمْ مـا فيـهِ تـأخيـر
فَـاسْتغفـرِ اللَّهَ خيـراً وَارْضَيَـنَّ بـهِ
فبينمـا الـعسـرُ إذْ دارتْ ميـاسيـر

(١) نفسه ١/١٢٥.

وبينمــا المــرءُ في الأحيــاءِ مغتبــطاً
إذْ صــارَ في الرَّمْسِ تعفوه الأعـاصيـر
حـتى كــأنْ لـم يـكـنْ إلّا تــوهُّـمُــهُ
والـدّهـرُ في كـلِّ حـاليْــهِ دهـاريـر
يبكي الغــريبُ عليــه لـيسَ يعــرفُــه
وذو قــرابـتِـه فـي الـحـيِّ مـســرور
فــذاكَ آخــرُ عهــدٍ من أخـيــك إذا
مـا ضُمِّنَتْ شِلْوَهُ اللُّحْدُ المحـافيـر(١)

* * *

(فإنّ العزّ في الياس)

ومن زهديات بشر بن أبي خازم، قوله:

إضْرَعْ إلى اللَّهِ لا تضرعْ إلى النَّاسِ
وَاقْنَـعْ بيأسٍ فـإنَّ العِـزَّ في اليــاسِ
وَاسْتغْنِ عن كلِّ ذي قُرْبى وذي رحِمٍ
إنَّ الغنيَّ من اسْتَغنى عن النــاسِ(٢)

* * *

(١) العقد الفريد ١/٣٢٦.

(٢) نفسه ١/٣٢٨.

(وجرى بالخير سعد)

وقريب من المعنى الأول قوله:

لـيسَ يُـجـدي الـحـرصُ والسّـ
ـعـيُ إذا لـم يـكُ جـدُّ
مـا لِـمـا قـدْ قـدَّرَ الـلّهُ
مِـنَ الأمـرِ مَـرَدُّ
قـد جـرى بـالـشّـرِّ نـحسٌ
وجـرى بـالـخـيـرِ سـعـد
وجـرى الـنـاسُ عـلى جـر
يـهـمُ قـبـلُ وبـعـدُ
أمِـنـوا الـدّهـرَ ومـا لـلدهـرِ
والأيـامِ عـهـدُ
غَـالَـهُـمْ فَـاصْـطلمَ الـجـمـعَ
وأفـنـي مـا أعـدُّوا
إنّهـا الـدُّنيـا فـلا تحـفلْ بـ
ـهـا: جَـزْرٌ ومـدّ(١)

* * *

(١) نفسه ١/٣٢٩. وغالهم: أهلكهم. واصطلم: قطع وأهلك.

(بلينا وما تبلى النجوم الطوالع)

ومن جيد ما قاله أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامري، الشاعر الجاهلي المخضرم، أبيات زهدية حكمية رائعة ضمنها مرثاته لأخيه، ومنها قوله:

بَلينا وما تَبْلى النُّجومُ الطَّوالعُ
وتبقى الجبالُ بعدَنا والمصانعُ
وما المرءُ إلّا كالهلالِ وضوئِه
يحورُ رماداً بعدَ إذْ هو ساطعُ
أليسَ ورائي إنْ تراختْ منيَّتي
لزومُ العصا تُحنى عليها الأصابعُ
أُخَبِّرُ أخبارَ القرونِ التي مضتْ
أدبُّ كأنّي كلّما قُمْتُ راكعُ
فلا تبعدَنْ إنَّ المنيَّةَ موعدٌ
علينا فدانٍ لِلطُّلوعِ وطالعُ
لَعَمْرُكَ ما تدري الضَّواربُ بالحصى
ولا زاجراتُ الطَّيرِ ما اللَّهُ صانعُ[1]

* * *

(١) ديوان لبيد ٨٩ ـ ٩٠. تحقيق إحسان عباس الكويت ١٩٦٢ م. والمصانع: =

(وكل نعيم لا محالة زائل)

ومن أبيات لبيد الحكيمة، المشهورة، وفيها نلمس روح الزهد في الحياة، وهو من أصدق القول:

أَلا كُلُّ شيءٍ ما خلا اللَّهَ باطلُ
وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ

* * *

(وبإذن الله ريثي وعجل)

ومن جيد حكمه وزهده، قوله:

مَن هداهُ سُبُلَ الخيرِ اهْتدى
ناعمَ البالِ وَمَنْ شاءَ أضلّ
أحمدُ اللَّهَ فلا نِدَّ له
بيديْه الخيرُ ما شاءَ فعل
إنَّ تَقْوى ربّنا خيرُ نفلْ
وبِإذنِ اللَّهِ رَيْثي وَعَجَلْ(١)

* * *

= المباني والدور. ويحور: يرجع. وضوارب الحصى: اللاتي يضربن الطير. وزاجراته: الصائحات بالطير لمعرفة الخير من الشر تبعاً لطيرانه يمنة أو يسرة.

(١) رسالة الغفران، للمعري، ص ١٢٥. دار صعب. بيروت ١٩٦٨ م. والريث: المهل. والنفل. العطاء والخير والند: النظير.

(أين الأسرّة والتيجان والحلل)

الأبيات التالية، وهي تدخل في صميم شعر الزهد، وتمثل الذروة منه حكمة ومثلاً وخاطرة وعبرة، لا يعرف قائلها بالتحديد، وإن نسبت إلى الإمام علي بن أبي طالب، فهي موجودة في طبعات ديوانه. وإذا فاتت الإمام علياً، فإنها لم تفت أحد أبنائه وأحفاده من الأئمة الذين نسبت إلى بعضهم كالإمام الكاظم، والإمام الرضا. وفي مطلق الأحوال فإن القصيدة إن فاتت هؤلاء فقد تكون نظمت في عهد العباسيين، بعد أن أفلت زمام الخلافة من أيديهم وصارت لعبة في أيدي القواد والولاة من الأعاجم. وأياً يكن الدافع على وضعها، وأياً كان صاحبها فإننا نثبت أكبر قدر من أبياتها، نظراً إلى أهميتها، وهي التالية[١]:

باتُوا على قُلَلِ الأجبالِ تحرسُهم
غُلْبُ الرِّجالِ فلمْ تنفعْهُمْ القُلَلُ[٢]
واسْتُنْزلوا بعدَ عِزٍّ عنْ معاقِلهِمْ
فأُودِعوا حُفَراً يا بئسَ ما نَزَلوا

(١) ديوان الإمام علي بن أبي طالب ص ٩٧. المطبعة العلمية. القاهرة ١٣١٩ هـ.

(٢) قلل الجبال: رؤوسها. وغلب الرجال: أقوياؤهم وأشداؤهم.

نـاداهمُ صارخٌ مِنْ بعـدِمـا دُفِنـوا
أيـنَ الأسِـرَّةُ والـتّيـجـانُ والـحُـلَلُ
أينَ الـوجـوهُ التي كـانتْ مُـنَعَّـمـةً
مِن دونِها تُضْـرَبُ الأستارُ والكِلَلُ[1]
فَـأَفْصَـحَ القبـرُ عنهمْ حينَ سـاءلهم:
تلكَ الـوجـوهُ عليهـا الـدّودُ يَقْتَتِـلُ
قـدْ طـالما أكلوا دهـراً ومـا شـرِبـوا
فأصبحوا بعـدَ طولِ الأكـلِ قد أُكِلوا
وطـالمـا كثَّـروا الأمـوالَ وادَّخـروا
فخلّفـوهـا عـلى الأعـداءِ وَارْتحـلوا
وطـالـمـا شيّـدوا دُوراً لِـتَحْـصِـنَهم
ففـارقـوا الـدّورَ والأهليـنَ وانْتَـقلوا
أضحتْ مسـاكِنُـهم وَحْشـاً مُعَـطَّلةً
وساكنوهـا إلى الأجداثِ قـد رَحلوا[2]
سـلِ الـخليفـةَ إذ وافـتْ مـنيَّـتُـه
أينَ الجنـودُ وأينَ الخيـلُ والْخَـوَلُ[3]

(١) الكلل، جمع كلة، وهي الستر الدقيق.
(٢) الأجداث: القبور.
(٣) الخول: الخدم.

أين الكنـوزُ التي كـانتْ مفـاتحُها
تنـوءُ بِالْعصبـةِ المقـوينَ لـوْ حَملوا[١]
أينَ العبيـدُ الأُولى أرصـدْتَهم عـدداً
أينَ العـديـدُ وأينَ البيْضُ والأَسَـلَ[٢]
أينَ الفـوارسُ والغلمـانُ مـا صنعـوا
أين الصَّـوارمُ والـخِـطِّيَّـةُ الـذُّبُـل
أين الكـفـاةُ ألَمْ يـكفـوا خـليفـتَهُمْ
لـمّـا رَأَوْه صـريعـاً وهْـو يـبتـهـل
أين الكمـاةُ أمـا حـامـوا أمـا غضِبـوا
أين الحماةُ الّتي تُحمى بها الـدُّوَل[٣]
أين الـرّمـاةُ ألم تمنـعْ بِـأَسْهُمِـهِمْ
لمّـا أَتَتْـكَ سِهـامُ المـوتِ تنتضـل
هيهـاتَ مـا منعـوا ضيْمـاً ولا دفعـوا
عنـكَ المنيّـةَ إذْ وافى بهـا الأجـل
مـا سـاعـدوكَ ولا واسـاكَ أقـربُهم
بـلْ أسلمـوكَ لهـا يـا بِئْسَ مـا فعلوا

(١) تنوء: تعجز.
(٢) البيض: السيوف. والأسل: الرماح.
(٣) الكماة: الأبطال. والضيم: الذل.

مـا بـالُ قبـرِكَ لا يُنْشى بـه أحـدٌ
ولا يَـطُورُ بـه مِنْ بَيْنِهـم رجـل[1]
ما بـالُ قصـرِكَ وحشـاً لا أنيسَ بـه
يغشـاكَ مِن كنفيْـهِ الـرَّوعُ والـوهـل
مـا بـالُ ذكـرِكَ منسيّـاً ومُـطَّرَحـاً
وكلُّهم بِـاقْتسـامِ المـالِ قـد شغلوا
لا تُنْكِـرنَّ فـمـا دامتْ عـلى مـلِكٍ
إلَّا أنـاخَ عليـه المـوتُ والـوجـل
وكيفَ يُـرجى دوامُ العيشِ متّـصـلاً
وروحُـه بِجبـالِ الـمـوتِ متّـصـل
وجسمُـه لِلبُـانـاتِ الـرّدى غـرضٌ
ومُـلْكُـهُ زائـلٌ عـنـه ومـنـتـقـل[2]

* * *

(لك الحمد يا ذا الجود)

ومن مأثور كلام علي بن أبي طالب في الزهد، وفي التقرب إلى الله تعالى، والشكر له، قوله:

لكَ الحمدُ يا ذا الجودِ والمجدِ والعُلى
تبـاركْتَ تُعـطي مَن تشـاءُ وتمـنـعُ

(١) ينشى: يعلم. ويطور: يطوف.

(٢) اللبانات: الأغراض. والردى: الهلاك.

إلٰـهي وخـلاَّقي وحِـرْزي ومـوئلي
إليكَ لدى الإعسـارِ واليُسرِ أفـزع
إلٰـهي لئِنْ خَيّبتنـي وطـردْتَنـي
فمن ذا الـذي أرجـو ومن ذا أشفِّـع
إلٰـهي تـرى حـالي وذلّي وفـاقتي
وأنتَ منـاجـاتي الخفيَّـة تـسمـع
إلٰهي فـلا تقـطعْ رجـائي ولا تُـزِغْ
فؤادي فلي في بـابِ جـودِكَ مـطمـع
إلٰـهي لئنْ عـذَّبـتنـي ألـفَ حـجّـةٍ
فـحبـلُ رجـائـي منـكَ لا يـتقـطَّع
إلٰهي إذا لم تعفُ عن غـيـر محسنٍ
فـمنْ لـمُسـيء بِـالـهـوى يـتـمـتّـع
إلٰهي لئنْ فـرّطْتُ في طلبِ التُّقى
فهـا أنـا إثـرَ العفـوِ أقفـو وأتـبـع
إلٰهي أقلْني عثـرتي وَامْـحُ حَـوْبـتي
فـإنـي مقـرٌّ خـائـفٌ متـضـرّع[1]

* * *

(١) تـاريخ الآداب العـربية ١/١٦١. رشيـد يوسف عـطا الله. ط ١. دار عز الدين. بيروت ١٩٨٥ م. والحوبة: الذنب.

الحسين بن علي (ت ٦٠ هـ/ ٦٨٠ م)

(فما بال متروك به الحرّ يبخل)

وثمة بيتان منسوبان إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، يتضمنان معنى سامياً، هو الحث على التخلي عن جمع المال، والحرص على طلبه وجمعه، وهما في غاية الروعة والجودة، والبيتان هما التاليان:

إذا كانتِ الأَرزاقُ قِسْماً مُقَدَّراً
فقِلَّةُ حِرْصِ المرءِ في الكسبِ أجملُ
ولو كانتِ الأمْوالُ لِلتَّرْكِ جَمْعُها
فما بالُ متروكٍ بهِ الحرُّ يَبْخَلُ

* * *

أبو الأسود (ت ٦٩ هـ/ ٦٨٨ م)

(فادع الإله وأحسن الأعمالا)

ولأبي الأسود الدؤلي، ظالم بن عمرو، واضع علم النحو المشهور، أبيات في العزوف عن الدنيا، وفي الزهد والقناعة، وهي تتميز بالسهولة والسلاسة:

وإذا طلبْتَ مِنَ الْحوائِجِ حاجةً
فادْعُ الإلٰهَ وأَحْسِنِ الأعمالا

فَـلَيُـعْـطِيَـنَّـكَ مـا أرادَ بِـقـدرةٍ
فـهْـو الـلطيـفُ لـمـا أرادَ فـعـالا
وَدَعِ الـعـبـادَ ولا تـكـنْ بِـطلابِـهـم
لَـهِجـاً تَـضَعْـضَـعُ لِـلعبـادِ سُـؤالا
إنَّ الـعـبـادَ وشـأنَـهـم وأمـورَهـم
بـيـدِ الإلٰـهِ يـقـلِّبُ الأحـوالا(١)

* * *

(فسيكفيك مسيئاً عمله)

ومن جيد قول أبي الأسود وبليغه:

أيّـهـا الآمـلُ مـا لـيسَ لـهُ
رُبَّـمـا غَـرَّ سـفـيـهـاً أمَـلُهْ
رُبَّ مَـن مـاتَ يُـمـنـيّ نـفـسَـهُ
حـالَ مِـن دونِ مـنـاهُ أَجَـلُهُ
والفتى المحتـالُ فـي مـا نـابَـه
ربّـمـا ضـاقـتْ عـلـيـه حِـيَـلُهْ
قـلْ لمنْ قـد مـاتَ في أشعـارِه
يـهـلكُ الـمـرءُ ويـبـقـى مَـثَلُهْ

---

(١) الأغـاني، لأبي الفـرج الأصفهـاني ١/١٠٨. ط بـولاق وط دار الكتب
وتضعضع: تذل.

نـافسِ المحسنَ فـي إحسـانِـه
فَـسَيَـكْفـيـكَ مـسيئـاً عـمـلُهْ(١)

* * *

شبيب بن البرصاء

(وإني لترّاك الضغينة)

ومن جيد ما قاله شبيب بن البرصاء الشاعر الإسلامي الأموي:

وإنـي لَتَـرّاكُ الـضَّغـيـنـةِ قـدْ بـدا
ثـراهـا مِنَ الْمـولى فـلا أَسْتَثِيـرُهـا
مـخـافـةَ أنْ تـجـني علـيّ وإنّـمـا
يَهيـجُ كبيـراتِ الأمـورِ صـغيـرُهـا
فـلا خيـرَ في العيـدانِ إلاّ صِـلابُهـا
ولا نـاهضاتِ الـطّيرِ إلاّ صقـورُهـا(٢)

* * *

(١) العقد الفريد ١/ ٣٢٥.

(٢) ديوان الحماسة، لأبي تمام ٢/ ٧٠٦. ط ١. دار القلم. بيروت والضعينة: الذل. وناهضات الطير: الباسطة أجنحتها.

(يا خاطب الدنيا)

ومن المجانين الذين كانوا عقلاء، وما هم بمجانين، سعدون المجنون، العالم والزاهد البصري؛ وله شعر في الحكمة والزهد لا يخلو من طرافة وجدة، وإن منْه ذاك الذي يذم به الدنيا، داعياً إلى التزود بالتقوى والعمل الصالح. يقول سعدون، وهو من أسهل القول:

يا خاطبَ الدّنيا إلى نَفْسي
إنَّ لها في كلِّ يومٍ خليلْ
ما أقبحَ الدّنيا بِخُطّابِها
تقتلُهم عمداً قتيلاً قتيلْ
تستنكحُ البعلَ وقد وُطِّئَتْ
في موضعٍ آخرَ منه البديل
إنّي لَمُغْتَرٌّ وإنَّ البِلى
يعملُ في نفسي قليلاً قليل
تزوّدوا لِلموتِ زاداً فقدْ
نادى مُناديهِ الرّحيلَ الرحيلْ[1]

(١) شعر الزهد في القرنين الثاني والثالث، لعلي عطوي. ص ٢٢٨. المكتب الإسلامي. بيروت ١٩٨١ م.

(كذاك الدهر يبكيكا)

ومن جيد شعره الزهدي، ذاك الذي يخاطب به الرشيد، واعظاً ومحذّراً، وكان الرشيد قد خرج من مكة في موكب مهيب:

هَبِ الدُّنيا تُواتيكا
ألَيسَ الموتُ يأتيكا
فما تصنعُ بالدّنيا
وظِلُّ الميلِ يَكْفيكا
ألا يا طالبَ الدّنيا
دعِ الدنيا لِشانيكا
كما أضحكَكَ الدّهرُ
كذاكَ الدهرُ يُبْكيكا[1]

* * *

حميد بن ثور

(فلا تأمنن بيات المنون)

ومن الشعر الزهدي الذي قاله حميد بن ثور الهلالي، الشاعر الإسلامي، والصحابي، مرشداً الإنسان إلى المصير المحتوم، قوله:

---

(١) نفسه ص ١٨٣.

فــلا تَــأْمَــنَنَّ بــيــاتَ الــمــنــونِ
وكــنْ حــذِراً حــدَّ أظــفــارِهــا
فــإنَّ الــمــنــيَّــةَ مــا أَسْــأَرَتْ
مِــنَ الْقــومِ عــادتْ لإســآرِهــا(١)

* * *

ميسون بنت بحدل

(ولبس عباءة وتقر عيني)

ومن ألطف ما قيل في الزهد في الحياة، والعزوف عن مباهجها، شعر قالته ميسون بنت بحدل الكلبية، وكان معاوية بن أبي سفيان تزوجها وحملها إلى دمشق، فحنّت إلى البادية، التي نشأت فيها فقالت هذه الأبيات السهلة ذات المسحة الزهدية. وهي التالية:

لَــبَــيْــتٌ تَــخْــفــقُ الأرْواحُ فــيــهِ
أَحَــبُّ إلــيَّ مِــن قــصــرٍ مُــنــيــفِ
ولُــبْسُ عــبــاءةٍ وتــقــرَّ عــيــنــي
أحــبُّ إلــيَّ مِــن لــبسِ الــشّــفــوفِ

(١) حميد بن ثور الهلالي: حياته وشعره، لرضوان النجار. ص ١٧٥. رسالة ماجستير ١٩٧٨ م.

وأصـواتُ الـرِّيـاحِ بـكـلِّ فـجٍّ
أحـبُّ إلـيَّ مِـن نـقـرِ الـدُّفـوف
وأكـلُ كُسَيْـرةٍ فـي كسـرِ بيـتي
أحبُّ إلـيَّ مِـن أكـلِ الـرغـيـف
وخـرقٌ مِـن بنـي عـمّـي نـحـيـفٌ
أحـبُّ إلـيَّ مِـن عِلْجٍ عـليـفِ(1)

* * *

مالك بن دينار

(تفانوا جميعاً)

ومن ألطف المعاني الزهدية، في أرق الشعر وأجزله معاً، ما قاله مالك بن دينار، مولى بن أسامة بن لؤي، وكان زاهداً ورعاً، ومن رجال الحديث. يقول مالك:

أتـيْـتُ الـقـبـورَ فـنـاديـتُـهـنَّ
أيْـنَ الـمـعـظَّمُ والـمـحـتـقَـرْ
وأيـنَ الـمـذلُّ لِـسـلطانِـه
وأيـنَ الـمـزكّـى إذا مـا افْـتَـخَـرْ

(1) تـاريخ الآداب العـربية ص ٣٤. والأرواح، في البيت الأول، الـريـاح، ومنيف: عـال. والشفـوف: مـا رقّ من الثيـاب. والعلج: الضخم. والعليف: السمين. وهنا تشير إلى معاوية.

تفانَوْا جميعاً فما مُخبرٌ
ومـاتـوا جميعاً ومـاتَ الخَبَرْ
تروحُ وتغدو بناتُ الثّرى
وتُمحى محاسنُ تلكَ الصُّوَر
فيا سائِلي عنْ أُناسٍ مضوا
أمالَكَ في ما تَرى مُعْتَبَرْ(١)

* * *

الطرماح (ت ١٢٥ هـ/ ٧٤٣ م)

(عجباً ما عجبت)

ومن الشعراء الوعاظ الحاثين على الزهد في متاع الدنيا، والداعين إلى التمسك بحبل الله، وإلى العمل بالتقوى، الطرماح بن حكيم، أحد شعراء الخوارج. يقول الطرماح:

كـلُّ حـيٍّ مستكملٌ عـدّةَ
العمرِ ومودٍ إذا انْقضى عددُهْ
عجباً ما عجبْتُ مِن جامعِ المالِ
يُباهي بِهِ ويرتفدُه
ويضيعُ الذي يصيّرُه اللّهُ
إليه فليسَ يعتقده

(١) عيون الأخبار، لابن قتيبة ٢/ ٣٣. المؤسسة المصرية للطباعة والنشر.

يـومَ لا يـنـفـعُ الـمـخـولَ
ذا الـثـروةِ خِـلاّنُـه ولا ولـده
ثـم يُـؤتـى بـهِ وخـصـمـاه
وسطَ الـسّجـنِ والإنسُ رجلُه ويـده
خـاشـع الـطّرفِ لـيسَ يـنـفـعُـه
ثَـمَّ أمـانـيـهِ ولا لَـدَدُهْ(١)

* * *

الفرزدق (ت ١١٠ هـ/ ٧٢٩ م)

(أخاف وراء القبر)

والفرزدق على الرغم من فاحش هجائه، وخبث لسانه، فإنه نسك في أواخر حياته، ومما قاله في النسك والزهد، مصوراً هول يوم الحساب والقيامة:

أخـافُ وراءَ القبـرِ إنْ لـم يُعـافِـني
أشـدَّ منَ القبـرِ التهـابـاً وأضْيَـقـا
إذا قـادنـي يـومَ القيـامـةِ قـائـدٌ
عنيفٌ وسـوّاقٌ يسـوقُ الـمـرزدقـا
لقـد خـابَ مِن أولاد آدمَ من مشى
إلى النّـارِ مغلولَ القِـلادةِ مـوثقـا

(١) شعر الزهد، ص ١١٨

إذا شــربـوا فيهـا الحمـيمَ رأيْـتَهـم
يـذوبـونَ مِن حـرِّ الحميمِ تَمَـزُّقـا[1]

* * *

عبد الله بن معاوية (ت ١٣١ هـ/ ٧٤٩ م)

(ما نالني من غنى)

من الشعراء الذين ثابوا إلى رشـدهم من بعد غيّ ولهـو، الشـاعر الأمـوي عبد الله بن معـاويـة، من كـرام بني هـاشم وأجوادهم. ولقد صوّر في شعره شيئاً من الندامة على ما فات من عمره في معصية الله، كما ضمنه ملامح من الوعظ والزهد والإرشاد والتوكل على الله والرضى بالقليل من الـرزق الذي كتب للمرء، وأنى يفوته، أو يدرك دون ما قسم له، وحول هذا المبحث الأخير يقول عبد الله:

قَـدْ يُرْزَقُ المـرءُ لا مِن فضـلِ حيلتِـه
ويُصْرَفُ الرّزقُ عنْ ذي الحيلةِ الدّاهي
مـا نـالني مِن غِنىً يـومـاً ولا عـدمٍ
إلاّ وقـولـي عليـه الْـحـمـدُ لِـلّهِ[2]

* * *

(١) الكامل في اللغة والأدب ١/٧١.

(٢) العقد الفريد ٢/١٨٣، والعدم: الفقر.

(ولكن سل الله من فضله)

ومن مواعظه التي تدور حول المعنى السابق، قوله:

ألا تـزعِ الـقـلبَ عـنْ جـهـلِهِ
وعـمّـا تُـؤنّـبُ مِـنْ أجـلِهِ
فـأبـدِلَ بـعـد الـصِّبـا حـلمـهُ
وأقـصـرَ ذو الـعـذْلِ عـن عـذلـه
ولا تُـتـبـع الـطّرفَ مـا لا تـنـالُ
ولـكـنْ سـلِ الـلّهَ مِـن فـضـلِه
فـكـمْ مِـن مُـقِـلٍّ يـنـالُ الـغِـنـى
ويُـحـمـدُ فـي رزقِـه كـلِّهِ(١)

* * *

(الموت هول داخل)

وأمام هول الموت، وصروف الدهر يقف الشاعر متأملاً متسائلاً فيقول:

يـا قَـومُ كـيـفَ سـواغُ عـيـشٍ
لـيسَ تُـؤمَـنُ نـاجـعـاتُـهْ

(١) الأغاني ١١/٧٨. وتـزع: تـردع. والحلم، العقـل، خـلاف الجهـل، والعذل: اللوم.

لـيـسـتْ تـزالُ مـطلّةً
تـغـدو عـليـكَ مُـنَـغِـصّـاتـه
الـمـوتُ هـولٌ داخـلٌ
يـومـاً عـلى كـرْهٍ أنـاتـهُ
لا بـدَّ لـلحـذرِ الـنّـفـورِ
مـنَ أنْ تُـقَـنِّـصَـهُ رُمـاتُـه[1]

* * *

(١) المصدر نفسه ٣/٢١٣ . والحذر النفور: الأسد الهصور.



الباب الثاني

في العصر العباسي

ربيعة الرّقي

(فإنّ المنيّة من خلفه)

ومن الشعر الزهدي الهادىء النبرة، اللين العبارة، ما قاله ربيعة بن ثابت الأنصاري، وكان يسكن الرقة، وهو من شعراء العصر العباسي الأول؛ يقول ربيعة ناصحاً وواعظاً:

ولا تسألِ النّاسَ ما يملكونَ
ولكنْ سَلِ اللَّهَ وَاسْتَكْفِهِ
ولا تخضعَنَّ إلى سفلةٍ
وإنْ كانتِ الأرضُ في كَفّهِ
فإنَّ اللّئيمَ وإنْ خِلْتَهُ
كريماً يذودُكَ عن عُرْفِه
ويرجع محصولُ أخلاقِه
إلى أصلِهِ وإلى صنفِه

وكـــلّ مُـــقِـــلٍّ وذي ثـــروةٍ
فـــإنَّ الـــمـــنـــيّـــةَ مِـــن خَـــلْفِـــه(١)

* * *

القاسم بن إبراهيم

(إنما الدنيا متاع زائل)

ومن أسلس الشعر الزهدي، وأسهله مأخذاً، وأغناه معنى، ما وعظ به الناس القاسم بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أخو محمد بن إبراهيم، الذي خرج في عهد المنصور؛ يقول القاسم:

أيُّـهـــا الـــطَّالبُ أَجْـمِــلْ وَاقْـتَـصِــدْ
وأرِحْ نـــفـسَـــكَ مِـــن جـــهـــدٍ وكـــدّ
لا يـــزيـــدُ الـــحـــرصُ مِـن رزقٍ ولا
يُـــنـقصُ الإجـــمـــالُ مِـن رزق أحـــدْ
فَـــاتَّـــعِظ واسْـــمـــحْ لـــمـــا أنـتَ لـــه
وتـــزوَّدْ زادَكَ الـــيـــومَ لِـــغَـــد
إنّـــمـــا الـــدنـــيـــا مـــتـــاعٌ زائـــلٌ
عـــن قـلـيـــلٍ وإلـى الـلّـهِ الـــمـــردّْ(٢)

(١) محاضرات الأدباء، للراغب الأصبهاني ١/١٧١. دار مكتبة الحياة. بيروت ١٩٦١ م. والسفلة: الرعاع. والعرف: المعروف. تحقيق هوارت دن. ط بغداد وبيروت.

(٢) أخبار الشعراء، أو كتاب الأوراق، للصولي ص ١٩٦.

(فإنك مجزي بما أنت صانع)

ويقول القاسم بن صبيح في المعنى نفسه:

سَأَطْلُبُ بِالإجمالِ ما أنا طالبٌ
وإنّي إذا ما ضاقَ رزقٌ لَقانِعُ
وإنّي لأَسْتَغْني فما أبطرُ الْغِنى
وما المالُ إلّا عارضٌ وودائع
ألا أيُّها اللّاهي وقد شابَ رأسُه
أَلَما يَزِعْكَ الشّيْبُ والشّيبُ وازع
ترحَّلْ مِنَ الدُّنيا بِزادٍ مِنَ التُّقى
فإنّكَ مَجْزِيٌّ بِما أنتَ صانع(١)

* * *

(وأتى المشب فأين منه المهرب)

ومن الشعراء الذين اتهموا بالزندقة، وأسلسوا لشهواتهم القياد، ثم ما لبثوا أن تابوا إلى ربهم، مخلفين شعراً في الزهد والتوبة والموعظة، صالح بن عبد القدوس، أحد موالي الأزد،

(١) المصدر نفسه ص ١٨٥. وبالإجمال: بالرفق والإقتصاد. وأبطر: أكفر.

في أواخر الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية؛ يقول صالح من شعر له. في غاية الجودة والفصاحة والسلاسة:

دَعْ هــذه الــدُّنْيــا عــداكَ زمــانُــه
وَازْهَــدْ فعُمــركَ مَــرَّ مِـنْــهُ الأَطْيَــبُ
ذهبَ الشّبــابُ فمــا لــهُ مِنْ عــودةٍ
وأتى المشيبُ فــأينَ منــه المهــربُ
وغــرورُ دنيــاكَ التي لا تسعى لهــا
دارٌ حـقـيـقـتُـهـا متــاعٌ يــذهــب
تــبّــاً لِــدارٍ لا يــدومُ نـعـيـمُـهـا
ومشيُّــدهــا عـمّــا قليــلٍ يخــرب
فعليــكَ تقوى اللَّهِ فَــالْـزَمْهــا تَفُــزْ
إنَّ الـتَّـقِـيَّ هــو الـبـهـيُّ الأهــيــب
وَاعْمــلْ بطاعتــهِ تَنَــلْ فيــه الــرّضــا
إنَّ الـمـطـيـعَ لــه لــديْــهِ مـقــرَّب
وَاقْنــعْ ففي بعضِ القنــاعــةِ راحــةٌ
واليــأسُ عمّــا فــاتَ فهــو المطلبُ(١)

* * *

(١) شعر الزهد ص ٢٨٦.

(فبلاؤه حسن جميل)

ومن شعر ابن عبد القدوس الزهدي، شعره الآخر ويتميز بالسهولة والرشاقة، وفيه يقول:

اللّهُ أحمدُ شاكراً
فبلاؤه حسنٌ جميلُ
أصبحْتُ مستوراً مُعافى
بينَ أنْعُمِهِ أجولُ
خلْواً مِنَ الإخْوانِ خفُّ
الظّهْرِ يُقنِعُني القليل
سيّانِ عندي ذو الْغِنى
المتلافُ وَالْمُثْري البخيل
ونفيتُ باليأسِ المنى
عنّي فطابَ ليَ القليل
والنّاسُ كلُّهُمُ لِمَنْ
خفَّتْ مؤونتُه خليل[1]

* * *

(بلوت أمور الناس)

ومن بديع زهدياته وحكمه قوله:

---

(١) المرجع نفسه ص ٢٨٧.

بلوْتُ أمــورَ النــاسِ سبعينَ حـجّــةً
ولابسْتُ صرفَ الدّهرِ في العُسْرِ واليُسْرِ
فلم أرَ بعــدَ الـدينِ خيــراً مِنَ الْغِنى
ولـم أرَ بعـدَ الكفـرِ شـرّاً مِنَ الْفقـرِ(١)

* * *

محمد الباهلي

(والشيب للجهل حرب)

ومن الشعراء الذين تابوا إلى ربهم وزهدوا في الحياة الدنيا من بعد ما قضوا حياة عامرة باللهو، محمد بن حازم الباهلي، الشاعر العباسي الذي دخل يوماً على إبراهيم بن المهـدي، فناشده، وآكله، ولما حضر الشراب سأله إبراهيم أن يشرب فأبى، ثم قال من جيد الشعر الزهدي وأسلسه:

أَبَــعْــدَ خـمـسـيـنَ أُصْـبـو
والــشَّـيْــبُ لِــلـجـهـلِ حَــرْبُ
سِــنٌّ وشَــيْــبٌ وجَــهْــلٌ
أمــرٌ لَــعَــمْــرُكَ صـعــبُ

(١) معادن الجواهر ونزهة الخواطر، للسيد محسن الأمين ص ٤٢٤. بيروت ١٤٠١ هـ.

آلـيْـتُ أشـربُ كـأسـاً
مـا حـــجّ لِـلَّهِ ركْـبُ[1]

* * *

العلوي البصري

(قتلت الناس إشفاقاً)

ومن الأبيات الدالة على التألّه، وفيها من روح الزهد والندامة ما نسب إلى العلوي البصري من قول هو التالي :

قـتـلتُ الـنـاسَ إشـفـاقـاً
عـلى نَـفْـسِـيَ كـيْ تـبـقـى
وحـزتُ الـمـالَ بـالـسّـيـفِ
لـكـيْ أنـعـمَ لا أشـقـى
فـمـنْ أبـصـرَ مـثـوايَ
فـلا يـظلِمْ إذاً خَـلْـقـا
فـوا وَيْـلي إذا مـا مـتُّ
عـنـدَ الـلَّهِ مـا ألـقـى
أخـلداً فـي جِـوارِ الـلَّهِ
أم فـي نـارِهِ أُلْـقـى[2]

(١) الأغاني ١٢/١٦٤ .
(٢) رسالة الغفران ص ٢٢٦ .

صوت

(ومضى بفصل قضائه أمس)

وقال أصبغ بن الفرج: كان بنجران عابد يصيح في كل يوم صيحتين بهذين البيتين:

قطعَ البقاءَ مطالِعُ الشّمسِ
وغُدُوُّها مِن حيثُ لا تُمْسي
وطلوعُها حمراءَ قانيةً
وغروبُها صفراءَ كَالْوَرْسِ
اليومَ يُخبرُ ما يجيءُ بهِ
ومضى بفضلِ قضائِه أمسِ[1]

* * *

محمد بن يسير

(أي صفو إلاّ إلى تكدير)

ومن أصفى الشعر الزهدي، وهو لا يخلو من الحكمة والمثل، والطرافة والجدّة، وهو في غاية الرقة والسلاسة، والجودة ما قاله الشاعر العباسي المجدّد، محمد بن يسير الرياشي، وكأنما هو ينعي نفسه قبل الموت. يقول:

(١) العقد الفريد ١/٣٢٢. والورس: الزعفران.

أيُّ صَفْوٍ إلاّ إلى تكديرِ
ونعيمٍ إلاّ إلى تغييرِ
وسرورٍ ولذّةٍ وحبورٍ
ليسَ رهناً لنا بيومٍ عسيرِ
عَجَباً لي ومِن رضائِي بِدُنْيا
أنا فيها على شَفا تغريرِ
عالمٌ لا أشكُّ أنّي إلى اللّهِ
إذا متُّ أو عذابِ السّعيرِ
ثُمَّ ألهو ولسْتُ أدري إلى
أيّهما بعدَه يصيرُ مصيري
أيُّ يومٍ عليَّ أفْظعُ مِن يومٍ
بهِ تُبرزُ النُّعاةُ سريري
كلّما مُرَّ بي على أهلِ نادٍ
كنتُ حيناً بِهِمْ كثيرَ المرور
قِيلَ مَن ذا على سريرِ المنايا
قيلَ هذا محمّدُ بنُ يسيرِ[1]

* * *

(١) الكامل في اللغة ١/٢٤٢. ورهناً: وقفاً. وشفا: حافة. والتغرير: الخداع. وسريري: كناية عن النعش. والمنايا، جمع مية، الموت وعسير: شديد. والحبور: الفرحة والبهجة.

(ويل لمن لم يرحم الله)

ويتمثل خوف ابن يسير من مواجهة الموت، بل من مواجهة ما بعد الموت، بقوله الذي يتحسر فيه على الأيام التي قضاها في غير جنب الله، فيقول نادماً متحسراً:

وَيْلٌ لِمَنْ لَمْ يَرْحمِ اللَّهُ
وَمَنْ تكونُ النارُ مَثْواهُ
يا حسرتي في كلِ يومٍ مضى
يذكرُني الموتُ وأنساه
مَنْ طال في الدنيا بهِ عمرُهُ
وعاشَ فالْموتُ قُصاراه
كأنَّهُ قد قيلَ في مجلسٍ
قد كنتُ آتيهِ وأغشاه
وسارعَ الْيُسري إلى ربّهِ
يرحمُنا اللَّهُ وإيّاهُ(١)

* * *

سفيان الثوري (ت ١٦١ هـ)

(وذخره الله العلي الكبير)

من ألمع رجال الحديث والتصوف في المائة الثانية من

(١) الأغاني ١٢/ ١٣٧ . ومثواه: مقرّة. وقصاراه: غايته. وأغشى: آتي.

الهجرة، أبو عبيدة سفيان بن سعيد الثوري الذي دعا إلى تعزيز الثقة بالله، والاعتماد عليه، وأن يفوّض له الأمر، بصدق، وبقناعة الزاهدين، وصبر التائبين. يقول سفيان ناصحاً وواعظاً:

إنْ كنتَ ترجو اللَّهَ فَاقْنَعْ بِهِ
فَعِندَهُ الفضلُ الكثيرُ البشيرْ
مَن ذا الذي تلزمُه فاقةٌ
وذُخْرُهُ اللَّهُ العليُّ الكبيرْ[1]

* * *

(إذا أنت لم ترحل بزاد)

كما يقول ثانية:

إذا أنْتَ لم ترحلْ بِزادٍ مِنَ التُّقى
ولاقيْتَ بعدَ الموتِ مَن قد تَزَوَّدا
نَدِمْتَ على أنْ لا تكون كَمثلِهِ
وأنَّكَ لم ترصدْ لِما كانَ أرْصدا[2]

* * *

(١) شعر الزاهد ص ١٠٧. والفاقة: الفقر.

(٢) نفسه ص ١٠٨.

الفضيل بن عياض (ت ١٨٧ هـ)

(وبعد الثمانين ما ينتظر)

ومن أرق الشعر الزهدي، وألصقه بالنفس، وأصدقه، ما عبّر به عن نفسه الفضيل بن عياض، المروزي اليربوعي، وكان محدثاً وزاهداً؛ يقول الفضيل الذي بلغ الثمانين أو كاد:

بلغْتُ الثّمانينَ أوْجُزْتُها
فماذا أُؤمِّلُ أوْ أنْتَظِرْ
أتى لي ثمانونَ مِن مولِدي
وبعدَ الثمانينِ ما يُنْتَظَرْ
عَلَتْني السّنونَ فَأبْلَيْتَني
فرقَّتْ عِظامي وكَلَّ البصرْ(١)

* * *

بشار بن برد (ت ١٦٨ هـ/ ٧٨٤ م)

(كيف يبكي لمحبس في طلول)

ومن الشعراء الذين انصرفوا إلى اللذائذ ولهو العيش، وما

(١) شعر الزهد ص ١١١. ويقال إن الشطر الثاني من البيت الأخير، أتمه علي بن خشرم، وكان حاضراً لما قال الفضيل: (علتني السنون فأبليتني)، فخنقته العبرة، ولم يستطع إتمام الكلام.

لبثوا أن تابوا إلى ربهم، وعادوا عن غيّهم، بشار بن برد، الشاعر العباسي المجدد، وكان أعمى.

ويتميز شعره بالجدة والطرافة والعمق والابتكار. يقول بشار ذاكراً هول المحشر، ويدخل شعره في الزهد. ولا يخلو من نزعة تأملية:

كَيْفَ يَبْكي لِمَحْبِسٍ في طُلولِ
مَنْ سيقضي بِحبسِ يومٍ طويلِ
إنَّ في البعثِ والحسابِ لشغلاً
عنْ وقوفٍ بِرسمِ دارٍ محيلِ(1)

* * *

(وليس لأيام المنون خليل)

وقال في موضع آخر، ويدخل في المعنى نفسه تقريباً، وهو من جيد الشعر، وأفصحه:

بدا ليَ أنَّ الدَّهْرَ يقدحُ في الصَّفا
وأنَّ بقائي إنْ حييتُ قليلُ
فعِشْ خائفاً لِلموتِ أو غيرَ خائفٍ
على كلِّ نفسٍ لِلْحِمامِ دليلُ

(1) البيان والتبيين، للجاحظ ٣/١٦٤. دار صعب، بيروت ١٩٦٨ م.

خليلُكَ مـا قـدْمتَ مِن عمـلِ التّقى
وليسَ لِأيّـامِ الـمـنـونِ خـليـل(١)

* * *

(ويوم الحزن منه طويل)

ويقول أيضاً، وهو من جيد شعره في الزهد:

لَعَلَّكَ تـرجـو أنْ تـعـيشَ مـخلّداً
أبـى ذاكَ شُـبّـانٌ لـنـا وكُـهـولُ
ولِـلدّهـرِ أيّـامٌ قِـصـارٌ إذا سـرَتْ
بخيرٍ ويـومُ الحـزْنِ منـهُ طـويـل(٢)

* * *

(وسعى ساع وأخطأ في الرّجا)

ومنه أيضاً قوله الآخر الرائع:

مـا أراكَ الـدّهـرَ إلّا شـاخـصـاً
دائـبَ الـرّحـلةِ فـي غـيـرِ عَـنَـا
فـدعِ الـدُّنيـا وعِشْ في ظِـلِّهـا
طـلب الـدنـيـا مـنَ الـدّاءِ الْـقِـيـا

---

(١) زهر الآداب، للحصري ٢/٤٢٤. دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٣ م.
(٢) البيان والتبيين ٣/٤٧٤.

ربّــمــا جــاءَ مــقــيــمــاً رزقُــهُ
وسعى ساعٍ وَأَخْـطَى في الــرَّجـا[1]

* * *

الحسين بن مطير (ت ١٦٩ هـ/ ٧٨٥ م)

(فما لك نفسي بعدها تستعيرها)

ومن الشعر الغني بالحكمة والموعظة والكلمة الطيبة، ما قاله الشاعر الأموي العباسي، الحسين بن مطير مولى بني أسد بن خزيمة، يقول ابن مطير، وهو من جيد الشعر وأفصحه:

وما الجودُ مِن فقرِ الرِّجالِ ولا الغِنى
ولكنّ ذا خِيمٌ الــرِّجــالِ وخِـيــرُهــا
فكمْ طـامـعٍ في حــاجـةٍ لنْ ينــالَها
وكم يــائسٍ منـهــا أتــاهُ بشـيــرُهــا
ونـفسَــكَ أكــرِمْ عـن أمــورٍ كثـيــرةٍ
فمــا لَـكَ نفسٌ بعــدَهــا تستعيــرُهــا
فمنْ يَتَّبِـعْ مـا يُعجبُ النفسَ لم يـزلْ
مُـطيعاً لهـا في فعـلِ شيءٍ يضيـرُهـا

---

(١) ديوان بشار ١٥٣/٤ ـ لجنة التأليف والترجمة . تونس ١٩٥٧ م.

ولا تـقـربِ الأمْـرَ الـحـرامَ فـإنّـه
حـلاوتُـه تفنى ويبـقى مـريـرَهـا
ولا تُلْهِـكَ الـدنيـا عن الحقِّ واعْتمـدْ
لِآخـرةٍ لا بـدَّ أنْ ستصيـرُهـا[1]

* * *

أحدهم

(ولعلّ صهرك صاحب البيت)

ومن جيد ما قال أحدهم في وصف الدنيا، وفي المـوت الذي لا بد منه، قوله:

زيّنْتَ بيتَـكَ جـاهـلاً وعـمـرْتَـهُ
ولـعـلَّ صـهـرَكَ صـاحـبُ الـبـيـتِ
مـن كـانـت الأيّـامُ سـائـرةً بـهِ
فـكـأنّـه قـد حَـلَّ بـالـمـوْتِ
والـمـرءُ مـرتهَـنٌ بِسـوفَ ولـيتـني
وهـلاكُـهُ فـي الـسّـوفِ والـلَّيْـت
لِـلّهِ إنَّ فتـىً تـدبَّـرَ أمـرَه
فـغَـدا وَرَاحَ مـبـادرَ الـمـوتِ[2]

(١) شعر الزهد ص ٦٢٧. والخيم: الطبع والأصل. والخير: الشرف والأصل. ومريرها: مرارتها.
(٢) العقد الفريد ١/٣٢٢.

(كن كيف شئت)

للخليل بن أحمد الفراهيدي، مؤسس علم العروض، وأحد أبـرز المفلقين من العلماء في عصـره، أشعار تنم عن نفس شفافة، زاهدة، وهي خلاصة لتجاربه في الحياة، ومن هـذا القبيل، قوله:

كُـنْ كيفَ شِئْتَ فَقَصْـرُكَ الْـمـوتُ
لا مُـزْحَـلٌ عـنـهُ ولا فَـوْتُ
بـيـنـا غِـنـىً بـيـتٍ وبـهـجـتُـهُ
زالَ الـغـنَـى وتـقـوَّضَ الـبـيـتُ[1]

* * *

(وما هي إلّا ليلة ثم يومها)

ومنه أيضاً قوله:

ومـا هـي إلّا لـيـلةٌ ثـمّ يـومُـهـا
وحَـوْلٌ إلى حـولٍ وشهـرٌ إلى شهـرِ
مـطايـا يُقَـرِّبْنَ الجـديـدَ إلى البِلى
ويُـدْنِينَ أشـلاءَ الكـرامِ إلى القبـرِ

(١) عيون الأخبار، لابن قتيبة ٢/٣٠٤. والمزحل: الزوال، والتباعد. وتقوّض: تهدم.

ويتــركْــنَ أزواجَ الـغـيــورِ لِــغـيــره
ويقسمْنَ ما يحوي الشّحيحُ مِنَ الْوَفْرِ(١)

* * *

(فإن الذي هو آتٍ قريب)

ومنه، أيضاً، قوله:

وقبـلَكَ داوى الـطبيـبُ الـمـريضَ
فعــاشَ المــريضُ ومــاتَ الـطّبيبُ
فـكُـنْ مـسـتـعـدّاً لِـدارِ الـفـنـاءِ
فــإنَّ الــذي هــو آتٍ قــريــبُ(٢)

* * *

(وإذا افتقرت إلى الذخائر)

وثمة بيت ينسب إلى الخليل، وهو في الغاية من البلاغة والحكمة والتوجيه للتزود بالعمل الصالح، وهو التالي:

وإذا افْتَقَـرْتَ إلى الـذَّخـائِـرِ لم تَجِـدْ
ذُخْـراً يكـونُ كصـالـحِ الأعمــالِ(٣)

* * *

---

(١) وفيات الأعيان ٥/٢٠٩ ـ ٢١٠. والأشلاء: القطع. والشحيح: البخيل.

(٢) المصدر نفسه ٥/٢١٠.

(٣) الكامل في اللغة والأدب ١/٢٤١.

(إن القنوع الغنى لا كثرة المال)

للعتابي، واسمه كلثوم بن عمرو، من شعراء الدولة العباسية، زمن الرشيد والمأمون، شعر يتميز بالطبعية والعفوية، وحسن التصرف بالكلام، وإن منه ذلك الذي يتسم بالحكمة والزهد، لجهة الحث على التخلي عن الطمع، والاكتفاء بالقليل. يقول العتابي:

حَتّى متى أنا في حِلٍّ وتَرْحالِ
وطولِ شُغْلٍ بِإدْبارٍ وإقبالِ
بِمشْرِقِ الأرضِ طوراً ثم مغربِها
لا يخطرُ الموتُ مِن حرْصٍ على بالي
ونازحِ الدّارِ ما أنفكُّ مغترباً
عنِ الأحبّةِ ما يَدْرون ما حالي
ولو قنعْتُ أتاني الرّزقُ في دَعَةٍ
إنَّ القنوعَ الغِنى لا كثرةُ المالِ(١)

* * *

(ذريني تجئني منيتي مطمئنة)

ولقد عاتبته امرأته مرة على ترك السعي إلى العمل،

(١) العقد الفريد ٣/٢٠٩. ونازح الدار: البعيد عنها.

والاكتفاء بالقليل، خلافاً لما فعله منصور النمري الذي اقتنى الضياع، وبنى الدور، وجمع النساء. يقول العتابي متحدثاً عن زوجته:

تلومُ على تَرْكِ الغِنى باهليّةٌ
طوى الدّهرُ عنها كلَّ طِرفٍ وتالدِ
ذَريني تجئْني مُنْيَتي مطمئنّةً
ولم أتقحَّمْ هولَ تلكَ المواردِ
فإنَّ كريماتِ المعالي مشوبةٌ
بِمُستودعاتٍ في بطونِ الأساودِ(١)

* * *

(وليأتين عليك)

ومن لطيف شعر العتابي الزهدي، قوله:

الْمرءُ يجمعُ ما لَه مُسْتهتراً
فرحاً وليسَ بآكلٍ ما يجمعُ
وَلَيأتِيَنَّ عليكَ يومٌ مرّةً
يُنكى عليكَ مقنّعاً لا تسمعُ(٢)

---

(١) عيون الأخبار ١/٢٣٢. والباهلية: المنسوبة إلى باهلة، القبيلة العربية المعروفة. والطرف: الحديث من المال. والتالد: القديم، والأساود: الحيات جمع أسود.

(٢) العقد الفريد ٣/٢٩٧. والمستهتر بالشيء: المولع به. وينكى: ينقلب عليك.

(ما ليس يبقى فلا والله ما اتّزنا)

ومن الزهاد الذي يشار إليهم بالبنان، وحفظ التاريخ لهم أسمى معاني القدر والاحترام، عبد الله بن المبارك، أحد أشهر الفقهاء والعلماء في عصره، عنيت العصر العباسي الأول، وأحد ألمع زهاد عصره، إطلاقاً، وإن من شعره الزهدي، ذاك الذي كان يخاطب نفسه به في كل مرة يخرج فيها إلى الحج. يقول ابن المبارك:

بُغْضُ الحيـاةِ وخـوْفُ اللّهِ أَخْـرجني
وبيـعُ نفسي بمـا ليستْ لـه ثـمنـا
إنّـي وزنْتُ الـذي يبقى لِيعـدِلَـه
مـا ليسَ يبقى فـلا واللّهِ مـا اتّـزَنـا(١)

* * *

(فاستغن بالدّين عن دنيا الملوك)

وإن من شعره الزهدي الآخر، وفيه يتعجب ابن المبارك من الذين يسعون لدنياهم، فقصروا في ذات الله، وطمعوا بما عند الناس من ملوك وغير ملوك. يقول في هذا المعنى:

(١) شعر الزهد ص ٩١.

أرى أُناساً بِأَدْنى الـدِّينِ قـد قِنعوا
ولا أراهمْ رَضُـوا بِالعيشِ بـالـدُّونِ
فَـاسْتَغْنِ بالـدِّينِ عن دُنْيا الملوكِ كما
اسْتَغْنى الملوكُ بِدُنْيَاهُمْ عَنِ الـدِّينِ[1]

* * *

(يحصده الموت كلما طلعا)

وثمة أبيات قالها ابن المبارك يدعو فيها طالب العلم والناس جميعاً، إلى مبادرة الزهد والورع، وهجر النوم والشبع. يقول:

يـا طـالـبَ العـلمِ بـادرِ الْـوَرَعـا
وهـاجـرِ الـنَّـوْمَ وَاهْجُـرِ الـشَّبَـعـا
يـا أيُّـهـا الـنَّـاسُ أنـتُـم عُـشُـب
يحصـدُهُ الـمـوتُ كُلَّمـا طـلعـا[3]

* * *

(فلم يبق للأيام كهل ولا فتى)

ومن رائع شعر الزهد الذي جادت به قريحة ابن المبارك، قوله:

ألا قِفْ بِـدارِ المتـرفيـن وقُـلْ لهـمْ
ألا أيـنَ أربـابُ الـمـدائـنِ والْقُـرى

---

(١) المرجع نفسه ص ٩٢.
(٣) شعر الزهد ص ١١٠.

وأيـنَ المـلوكُ النّــاعـمـون بـغـبــطةٍ
ومَنْ عـانقَ الْبِيضَ الرَّعـابيبَ كَالـدُّمى
فـلو نـطقَتْ دارٌ لَـقــالَـتْ ديــارُهُـمْ
لــكَ الخيـرُ صــاروا لِلتُّـرابِ ولِلْبِلى
وأفــنـاهـمْ كَـرُّ الــنّــهــارِ ولــيــله
فلم يبقَ لِــلأيّــامِ كهــلٌ ولا فتى(١)

* * *

(فطوبى لعبد شغله بك دائماً)

ومن الشعر الزهـدي المنسوب إلى عبـد الله بن المبارك، ويغلب عليه طابع التصوف، قوله:

وكــلُّ اجْتهــادٍ فـي ســواكَ مضيَّـعُ
وكــلُّ كــلامٍ لا بِــذكــرِكَ آفــاتُ
وكــلُّ اشْتغــالٍ لا بِحُبِّــكَ بــاطــلُ
وكــلُّ ســمــاعٍ لا لِقــولِــكَ زلّات
وكــلُّ اجتمــاعٍ لا إليــكَ ضــلالــةٌ
وجــدٌّ وســعــيٌ لا إلـيــكَ بــطالات
وكــلُّ وقــوفٍ لا لِبــابِــكَ خيـبــةٌ
وكــلُّ عكــوف لا إليــكَ جنــايــات

(١) مجلة معهـد المخطوطـات العـربيـة، ص٣١٣. ج١. مجلد ٢٨. ١٩٨٤م. والرعابيب، جمع رعبوبة، وهي الشابة الناعمة.

وكـلّ رجـاءٍ دونَ فـضـلكَ آيسٌ
وكـلٌّ حـديثٍ عن سـواكَ خـطيئـات
وأنتَ حـراءُ الحبّ والغيـرُ بـاطـلٌ
فـطُوبى لِعبدٍ نـالـه منـكَ أوقـات
فيـا ويـلَ قلبٍ لم تكنْ فيـه سـاكنـاً
ويـا فـوزَ قلبٍ فيـه منـكَ مـودّات
فـطوبى لعبـدٍ شغـلُه بـكَ دائمـاً
كحـالِ مُحِبٍّ أدركتْـهُ الـعنـايـات
وسحقـاً لِمـطرودٍ عنِ البـابِ مبعـداً
ولـيس لـه إلاّ التّشـاغـلُ هـمّـات
على نفسِـه فَلْيَبْـكِ مَنْ فـاتـه الهـدى
ولـيس لـه عـزمٌ إليـكَ ونـيّـات(١)

* * *

(إن السفينة لا تجري على اليبس)

وثمة بيتان من الشعر الزهدي، يتّسمان بالرقة، وينسبان إلى ابن المبارك، وهما التاليان:

مـا بـال دينـكَ تـرض أنْ تُـدَنِّسَـهُ
وثـوبكَ الـدّهـرَ مغسـولٌ مِنَ الـدَّنسِ

---

(١) المرجع نفسه ص ٣٢٠ ـ ٣٢١.

تـرجـو النّجــاةَ ولم تسلكْ طـريقتَهــا
إنَّ السّفينـةَ لا تجـري على اليبسِ[1]

* * *

ريحانة

(من كان راكب يوم)

ومن شواعر الحكمة والزهد، والتصوف، تلك المعروفة باسم ريحانة، وكان لقيها إبراهيم بن الأدهم، الصوفي المعروف، فذاكرها شيئاً من أمر الآخرة فأنشأت تقول:

مَنْ كــانَ راكبَ يــومٍ لـيسَ يَــأْمَنُــهُ
ولـيـلة تــائـهــاً فـي عـقْبِ دنـيــاهُ
فكيفَ يلتــذُّ عـيشــاً لا يَــطيـبُ لـه
وكيفَ تعـرفُ طعمَ الغمْضِ عينـاه[2]

* * *

ميمونة

(دنيا غرارات)

ومنهن أيضاً، تلك المسماة ميمـونة السـوداء، التي لقيها

(1) المرجع نفسه ص ٣١٨.
(2) شعر الزهد ص ١٨٧.

عبد الله بن المبارك، فطلب أن تعظه، فقالت:

دُنْــيــا غــرارات فــذرْهــا
فــإنّــهــا مــركــبٌ جــمــوحُ
دونَ بــلــوغ الــجــهــولِ مــنــهــا
مــنــيــةُ نــفــســه تــطــوحُ
لا تــركــبِ الــشَّــرَّ فَــاجْــتَــنِــبْــهُ
فــإنّــه فــاحشٌ قــبــيــحُ
والخيــرُ فــاقــدمْ عــلــيــهِ جهــراً
فــإنّــه واســعُ فــســيــحُ[1]

* * *

(كذاك من مسكنه القبر)

ومن رائع شعرها الزهدي قولها:

ولــيسَ لِــلْــمــيِّــتِ فــي قَــبْــرِه
فِــطْــرٌ ولا أَضْــحــى ولا عــشــرُ
بــاتَ مِــنَ الأَهْــلِ عــلى قُــرْبِــه
كــذاكَ مَــنْ مــســكَــنُــه الــقــبــرُ[2]

* * *

(١) نفسه ١٩١.

(٢) نفسه ١٩٣.

(يرمي التراب ويحثوه على خدي)

ومن جيد ما قال الغزال في الشعر الزهدي:

أصبحتُ وَاللَّهِ مجهوداً على مَلَلٍ
مِنَ الحياةِ فصبري غيرُ مُمْتَدِّ
وما أفارقُ يوماً مَنْ أفارقُه
إلّا حسبْتُ فراقي آخر العهد
أنْظرْ إليَّ إذا أُدرجْتُ في كفني
وانظرْ إليَّ إذا أدرجْتُ في لحدي
وَاقْعُدْ قليلاً وعاينْ مَن يُقيمُ معي
مِمَّنْ يُشَيِّعُ نعشي مِن ذوي وُدّي
هيهاتِ كلُّهمُ في شأنِه لعبٌ
يرمي التّرابَ ويحثوه على خدّي(١)

* * *

البهلول (ت ١٩٠ هـ)

(وفي العيش فلا تطمع)

ثمة اسم من أسماء المجانين، لمع في عهد الرشيد،

(١) العقد الفريد ١/٣٢٥.

الخليفة العباسي، وما كان مجنوناً، لكنه تظاهر بذلك تقيةً، وإن كان به جنون حقاً، فهو جنون الحبّ الإلهي، وشدة مخافته الله سبحانه وتعالى، فلا عجب أن نجد كلام هذا المجنون، بهلول بن عمرو، وكنيته أبو وهيب الصيرفي الكوفي.. أقول لا عجب أن نجد في كلام أبي وهيب، وفي شعره خاصة، الكثير من المعاني الحكمية والزهدية القائمة على الوعظ والإرشاد، والاكتفاء بالقليل من المتاع، وإن من هذا الشعر، على سبيل المثال، قوله:

دَعِ الْحِرْصَ على الدُّنيا
وفي العيشِ فَلا تَطْمَعْ
ولا تَجمعْ مِنَ الْمالِ
فلا تَدْري لِمَنْ تجمعْ
فإنَّ الرِّزقَ مقسومٌ
وسوء الظَّنِّ لا ينفعْ
فقيرٌ كلُّ ذي حرصٍ
غنيٌّ كلُّ مَنْ يقنعْ(١)

* * *

(١) شعر الزهد ١٧٨ - ١٧٩. وينسب هذا الشعر لأبي نواس أيضاً. أنظر المحاسن والأضداد ص ١٠٢.

(ويحثو التّرب هذا ثم هذا)

ومن جيد قوله الزهدي، وبليغ معناه، ما قاله مخاطباً الرشيد:

وَهَبْ أنْ قدْ ملكْتَ الأرضَ طُراً
ودانَ لكَ البلادُ فكانَ ماذا
أليسَ غداً مصيرُكَ جوفَ تُرْبٍ
ويحثو التّرْبَ هذا ثمّ هذا(١)

* * *

(تقول لله ماذا حين تلقاه)

ومن أشعاره الزهدية قوله:

يا مَنْ تمتّعَ بالدّنيا وزينتها
ولا تنامُ عنِ اللّذّاتِ عَيْناهُ
شغلْتَ نفسَكَ في ما لسْتَ تذكرُه
تقولُ لِلّهِ ماذا حينَ تلقاهُ(٢)

* * *

(١) نفسه ص ١٧٩. ودان: خضع وذلّ. ويحثو: يلقي ويهيل.
(٢) نفسه ص ١٧٩.

لـيسَ لِـلمـخـلوقِ تـدبـيـرُ
بـلِ الـلّهُ الـمُـدَبِّـر(١)

* * *

(يا سوأتي فما اكتسبت)

ومن بديع شعر أبي نواس الزهدي، ما قاله وقد تصور نفسه مسجى على فراش الموت، تقلّبه الأيدي، ثم هو يغسل ويحنّط ويكفّن، ثم يحمل على سرير الموت، ثم يبعث يوم القيامة، وقد فرّط في حق الله أيّما تفريط. يقول النواسي نادماً ومناجياً نفسه، وهو من رائع الشعر السهل الممتنع:

يـا لَـيْتَ شِـعْـري كيـفَ أنتَ عـلى
ظَـهْـرِ الـسّـريـرِ وأنـتَ لا تَـدْري
يـا لـيـتَ شعـري كـيـفَ أنـتَ إذا
غُـسِّـلْتَ بـالـكـافـورِ والـسِّـدْرِ
يـا لِيـتَ شِـعـري كـيـفَ أنـتَ إذا
وُضِـعَ الحسـابُ صبيحـةَ الْـحَشْـرِ
مـا حُـجّـتي فـي مـا أتـيـتُ ومـا
قـوْلـي لِـرَبّـي بـلْ ومـا عُـذْري

---

(١) ديوان أبي نواس. ص ٦٢٠. تحقيق أحمد الغزالي. دار الكتاب العربي بيروت.

(يا نواسيّ تفكّر)

من أعجب العجب في شعر أبي نواس، الشاعر اللاهي والماجن، والفاتك، وزعيم الخمرة في الشعر العربي، أن نجد فيه نمطاً آخر يحاكي به كبار شعراء الزهد والموعظة والتوبة النصوح إلى الله. ونحن أمام هذه النماذج الرقيقة البالغة الروعة من زهديات أبي نواس، لا يسعنا إلاّ أن نصدق توبته، فنذوب إعجاباً بهذا الشعر الزهدي البالغ الجودة، ومنه قوله مناجياً:

يا نواسيُّ تَفَكَّرْ
وَتَجَمَّلْ وَتَصَبَّرْ
ساءَكَ الدّهرُ بِشيءٍ
ولِما سَرَّكَ أكثرْ
يا كبيرَ الذّنبِ عفوُ اللّهِ
مِنْ ذنبِكَ أكبر
أكبرُ الأشياءِ عَنْ
أصغرِ عفوِ اللّهِ أكبر
ليسَ لِلإنسانِ إلاّ
مَا قَضى اللّهُ وَقَدَّر

يـا سَـوْأتـي ممّـا اكْـتسبْتُ ويـا
أسَفي على مـا فـاتَ مِن عمـري[1]

* * *

(كأنك لا تظنّ الموت حقاً)

ومن رائع زهديات أبي نواس، قوله المتضمن بديع الحكمة، ولطيف المعنى، ورفيع الأدب التوجيهي، والإرشاد الديني، وكأنما هو ليس أبا نواس الذي نعرف، زندقة ومجوناً وتهتكاً. يقول أبو نواس:

أخـي مـا بـالُ قلبِـكَ لـيسَ يَنْـقـى
كـأنَّـكَ لا تَـظُنُّ الـمـوتَ حَـقّـا
ألا يَـا ابْـنَ الـذيـنَ فَـنَـوْا وبـادُوا
أمـا والـلَّهِ مـا بـادوا لِـتَـبْـقـى
ومـا لَـكَ فَـاعْـلمنْ فـيهـا مـقـامٌ
إذا اسْـتـكـمـلْتَ آجـالاً ورزقـا
ومـا لـكَ غـيـر مـا قـدّمْـتَ زادٌ
إذا جُـعِـلَتْ إلـى الـلَّهَـواتِ تَـرْقـى

(١) المصدر نفسه، ص ٦١٠. والسرير: النعش. والسدر: الحنوط يحنط به الميت. والحشر: يوم البعث.

ومـا أحـدٌ بِـزادِكَ مـنـكَ أحـظى

ومـا أحدٌ بِـذَنْبِـكَ مِنْـكَ أشْقى(١)

* * *

(يا سائل الله فزت بالظّفر)

وإن من هذا الشعر الزهدي الوجداني الرائع قوله، وهو يفيض حكمة وموعظة وإيماناً:

يـا سـائـلَ الـلَّهِ فُـزْتَ بِـالـظَّفَـرِ

وبِـالـنَّـوالِ الْـهَـنِيِّ لا الْـكَـدِرِ

فَـارْغَـبْ إلـى الـلَّهِ لا إلـى بـشَـرٍ

مـنتـقـلٍ فـي الْبِـلى وفـي الـغِـيـرَ

وَارْغـبْ إلـى الـلَّهِ لا إلـى جـسـدٍ

مـنـتـقـلٍ مِـنْ صِبـاً إلـى كِـبَـرِ

إنّ الـذي لا يُـخـيـبُ سـائِـلَهُ

جَـوْهَـرُهُ غـيـرُ جـوْهـرِ الـبـشـرِ

مـالـكَ بـالـتُّـرَّهـاتِ مشـتـغـلاً

أفـي يَـدَيْـكَ الأمـانُ مِنَ سَـقَـرِ(٢)

---

(١) شعر الزهد ص ٢٩٥. وبادوا: فنوا. واللهوات، جمع لهاة، وهي في أعلى الحلق. وهنا إشارة إلى نزاع الروح ساعة الموت.

(٢) نفسه ص ٢٩٨. وسقر: النار. والترهات: سفاسف الأمور التافهة. والغير: الأحداث والخطوب. والظفر: الفوز.

(وأراني أموت عضواً فعضوا)

ومن زهديات أبي نواس، وفيها ذكر لأهوال الموت والاحتضار، متأسفاً على ما فات من عمره في معصية الله تعالى، قوله:

شاعَ فِيَّ الفناءُ عُلْواً وسُفْلاً
وأراني أموتُ عضواً فعضوا
ذهبتْ جِدّتي بِطاعةِ نفسي
وتذكّرتُ طاعةَ اللّهِ نِضْوا[1]

* * *

(وفي العيش فلا تطمع)

ومن رائع زهد أبي نواس قوله:

دَع الْحرصَ على الدّنيا
وفي العيشِ فَلا تَطْمَعْ
ولا تجمعْ لكَ المالَ
فما تدري لِمَنْ تجمعْ
ولا تدري أفي أرضِكَ
أم في غيرِها تَضْرَعْ[2]

(١) البيان والتبيين ٣/٤٧٧. والنضو: المهزول والمجهد.

(٢) المحاسن والأضداد، للجاحظ، ص ١٠٢. دار صعب. بيروت ١٩٦٩ م.

(للّه درُّ الشيب من واعظ)

ومن شعر أبي نواس الحكمي الزهدي قوله، وهو من بليغ القول وأعمقه:

أيَّةَ نارٍ قَدَحَ الْقَادِحُ
وأيَّ جِدِّ بلغَ الْمازِحُ
لِلَّهِ درُّ الشَّيبِ مِن واعظٍ
وناصحٍ لو حظيَ النَّاصح
يأبى الْفتى إلّا اتّباعَ الهوى
ومنهجُ الحقِّ لهُ واضح
فَاسْمُ بِعَيْنَيْكَ إلى نسوةٍ
مهورُهُنَّ الْعَملُ الصّالح
لا يجتلي العذراءَ مِن خِدرِها
إلّا امْرُؤٌ ميزانُه راجح
مَنِ اتّقى اللَّهَ فذاكَ الذي
سِيقَ إليه المتجرُ الرّابح(١)

* * *

(وبتقواه تمسّك)

ومن شعره الزهدي السهل الممتنع قوله:

(١) البيان والتبيين ٣/ ٤٨٥.

كُـنْ مَـعَ الـلَّهِ يَـكُـنْ لَـكْ
وَاتَّـقِ الـلّهَ لَـعَـلَّكْ
لا تـكُـنْ إلاّ مـعـدّاً
لِـلْمـنـايـا فـكـأنّـكْ
إنَّ لِـلمـوتِ لَـسَـهـمـاً
واقـعـاً دونَـكَ أوْبِـك
نـحـن نـجـري في أفـانـيـنِ
سُـكـونٍ وتَـحـرُّك
فَـعَـلى الـلَّهِ تـوكَّـلْ
وبِـتَـقْـواهُ تَـمَـسَّـك(١)

* * *

(لبّيك قد لبيت لك)

وما أرقّ هذه التلبية الشعرية الرقيقـة التي لا تقال إلاّ في موسم الحج ، ولا تصدر إلا عن نفس شفّها الحزن والندم على المعصية ؛ يقول أبو نواس، من شعر ينضح بالتوبة والغفران :

إلـهـنـا مـا أعْـدَلَـكْ
مـليـكَ كُـلِّ مَـنْ مَـلَكْ

(١) المصدر نفسه ٣/ ٤٨٥ .

لَبَّيْكَ قد لَبَّيْتُ لَكْ
لبّيكَ إنَّ الحمدَ لَكْ
والملكَ لا شريكَ لكْ
ما خابَ عبدٌ أمَّلَكْ
أنتَ له حيثُ سَلَكْ
لولاكَ يا ربِّ هلكْ
لبّيك إنّ الحمدَ لكْ
والملكَ لا شريكَ لك
كلُّ نبيٍّ ومَلَكْ
وكلُّ مَنْ أهلًّ لك
وكلُّ عبدٍ سألك
سبَّحَ أو لبّى مَلَكْ
لبيكَ إنّ الحمدَ لك
والملكَ لا شريكَ لك
يا خاطئاً ما أغفلَكْ
إعْمَلْ وبادرْ أَجَلَكْ
وَاخْتُمْ بخيرٍ عَمَلَكْ
لبّيك إنَّ الحمدَ لك
والملكَ لا شريكَ لك

* * *

(سبحان علّام الغيوب)

ومن أروع ما قاله أبو نواس في التوبة والزهد والانقطاع إلى الله والندامة على الذنب، قوله مناجياً النفس:

سبحانَ علّامِ الغُيوبِ
عجباً لِتَصْريفِ الخطوبِ
تغدو على قطفِ النّفوسِ
وتجتني ثمرَ القلوبِ
يا نفسُ توبي قبلَ أنْ
لا تستطيعي أنْ تتوبي
وَاسْتغفري لِذنوبِكِ
الرّحمٰنَ غفّارَ الذُّنوب
إنَّ الحوادثَ كالرّياحِ
عليكِ دائمةُ الهبوب
والموتُ شرعٌ واحدٌ
والخَلْقُ مختلفو الضُّروب
والسَّعْيُ في طلبِ التُّقى
مِن خيرِ مكسبةِ الكَسوب
ولقلّما ينجو الفتى
بتقاهُ مِن لطخِ العيوبِ[١]

(١) الديوان ص ١٠٠ .

(واشكر لمولاك على نعمته)

ومن الأدب الوعظي، ذي النفحة الإيمانية الزهدية، ما ينسب إلى الإمام علي بن موسى الرضا (ع). يقول علي مزهداً بالدنيا، محذراً من زخرفها، حاثاً على التمسك بالخير والصبر، والتعلق بأهداب الفضيلة والتقوى:

لا تحرصَنْ فالحرصُ يُزْري بالفتى
ويُذْهِبُ الرَّوْنقَ عن بهجتِه
والحظ لا تجلُبُهُ حِيلَةٌ
كيفَ يخافُ المرءُ مِن فَقْرتِه
ما فاتكَ اليومَ سيأتي غداً
ما في الذي قُدِّرَ مِن حيلتِه
والرِّزقُ مضمونٌ على واحدٍ
مفاتحُ الأشياءِ في قَبْضتِه
قد يُرزقُ العاجزُ مَعْ عجزِهِ
ويُحرمُ الكَيِّسُ معْ فِطْنتِه
لا تنهرِ المسكينَ يوماً أتى
فقد نهاكَ اللَّهُ عن نهرتِه

إنْ عضَّــكَ الــدّهــرُ فكـنْ صــابـراً
عـلى الــذي فــاتــكَ من عضـــتــه
أوْ مــسَّــكَ الـضّــرُّ فــلا تـشـتـكـي
إلّا لِــمَــنْ تــطـمـعُ فــي رحـمــتِـه
وَاقْــنــعْ بــمــا أعــطاكَ مِــن فـضــلِهِ
واشْـكــرْ لِمــولاكَ عــلى نعـمـتِــه[1]

* * *

صوت

(وإنّ امرءاً)

ومما حدث به الأصمعي قال: سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: بينا أنا أدور في بعض البراري، إذا أنا بصوت يقول: . . . ولما سأل عن الصوت أصوت إنسي أم جنّي؟ لم يجبه، فنقش الشعر على خاتمه. والصوت الذي سمعه هو التالي:

وَإِنَّ امْــرَأً دُنْـيــاهُ أَكْــثــرُ هــمِّــهِ
لَمُسْتَمْسِــكٌ مِنْهَــا بِحَبْــلِ غُــرورِ[2]

---

(١) جواهر الأدب. ص ٤٣٢. والمولى: السيد. ومسَّك: أصابك. وعضك الدهر: أزرى بك وأساءك. وتنهر: تزجر. والكيّس: العاقل الذكي. والفقرة، واحدة الفقر، مصدر النوع. أو المرة. والرونق: ماء الشباب ونضارته.

(٢) المحاسن والأضداد ص ١٠٢.

(لا فخر إلّا فخر أهل التّقى)

من أشهر شعراء الزهد والحكمة في الأدب العربي، أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم العنزي المعروف بأبي العتاهية، وهو أحد أبرز شعراء العصر العباسي، انقطع إلى الزهد في أواخر حياته، وأكثر من ذكر القبر واللحد، وذكر الموت، والبعث والوعد والوعيد. ومن رائع شعره الزهدي الحكمي قوله متعجباً، ومنبهاً، ومحذراً من الغفلة والفخر والكبرياء، وشعره من أسهل الشعر، وأوضحه معنى ودلالة، وأقربه تناولاً:

يا عجباً لِلنّاسِ لو فكّروا
وحاسبوا أنْفُسَهُمْ أبصروا

وعبروا الدُّنيا إلى غيرِها
فإنّها الدُّنْيا لهمْ مَعْبَر

الخيرُ مِمّا ليسَ يَخْفى هو
المعروفُ والشّرُّ هو المُنْكَر

والموعدُ الموتُ وما بعدَهُ
الْحشرُ فذاكَ الموعِدُ الأكبر

لا فخرَ إلّا فخرُ أهلِ التُّقى
غداً إذا ضَمَّهُمُ الْمَحْشَر

لَــيَـعْــلَمَـنَّ الـنَّــاسُ أنَّ الـتُّــقــى
والــبــرَّ كــانــا خــيــرَ مــا يُــذْخــر
عـجـبــتُ لِــلإنــســانِ فــي فــخــرِه
وهْــو غــداً فــي قــبــرِه يُــقْــبَــر
ما بالُ مَــن أوَّلُــه نُــطْفَــةٌ
وجــيــفــةٌ آخــرهُ يَــفْــخَــر
أصــبــحَ لا يــمــلِكُ تــقــديــمَ مــا
يــرجــو ولا تــأخــيــرَ مــا يــحــذر
وأصــبــحَ الأمــرُ إلــى غــيــرِهِ
في كــلِّ مــا يقضي ومــا يُــقْــدَر[1]

* * *

(يدعوك ربك عنده فتجيب)

ويعجب أبو العتاهية للذين يشغلون بإحصاء العيوب على الناس، وهم غافلون عن عيوبهم، وعن الموت الذي لا محالة هو آتٍ. يقول أبو العتاهية:

يــا مَــنْ يَعــيــبُ وَعَــيْــبُــهُ مُــتَــشَــعِّــبُ
كَــمْ فيــكَ مِنْ عيــبٍ وأنتَ تَــعــيــبُ

---

(١) الكامل في اللغة ١/٢٣٩. ويؤخر: يحفظ ذخراً. وانظر: الديوان ١٥١ - ١٥٢.

لِـلَّهِ دَرُّكَ كَـيـفَ أنـتَ وغـايـةٌ
يَـدْعـوكَ ربُّـكَ عنـدَهُ فتُجيبُ[1]

* * *

(كلنا يكثر الملامة)

ومن بديع قوله في وصف الدنيا:

كُـلُّنـا يُكْـثِـرُ المـلامـةَ لِـلدُّنيـا
وكـلٌّ يـحِـبِّـهـا مـفـتـونُ
والمقـاديـرُ لا تنـاولُهـا الأوهـامُ
لُـطْفـاً ولا تـراهـا الـعـيـونُ
ويـمـرُّ الفـتـى وفـي كـلِّ يـومٍ
حـركـاتٌ كـأنّـهـنَّ سـكـونُ[2]

* * *

(والفقر عين الفقر في الأموال)

ومن جيد الشعر الزهدي، وأرقه، لأبي العتاهية، قوله مخاطباً الدنيا، داعياً إلى الأخذ بالبساطة، والرضا بالقناعة والكفاف:

---

(١) نفسه ١/٢٣٨.

(٢) العقد الفريد ١/٣١٢.

مـا أنـتِ يـا دُنيـا بِـدارِ إقـامـةٍ
مـا زلْـتِ يـا دنيـا كَـفَـيْءِ ظِـلالِ
غـرسَ التَخَلُّصُ منكِ بينَ جـوانحي
شجـرَ القنـاعـةِ والقنـاعـةُ مـالي
لمّـا حصلْتُ على القنـاعـةِ لم أزلْ
مـلِكـاً يـرى الإكـثـارَ كـالإقـلال
لمّـا حصلْتُ على القنـاعـةِ لم أزلْ
والـفقـرُ عـين الـفقـر فـي الأمـوال
مـا اعْتاضَ باذلُ وجهـهِ ولسـانِـه
عِـوَضـاً ولـو نـالَ الغِنى بِسـؤال(١)

* * *

(حتى متى يستفزني الطمع)

وقريب من المعنى السابق قوله أيضاً:

حَتّى مَتى يَسْتفِـزُّني الـطَّمَـعُ
ألـيْسَ لي بـالـكفـافِ مُـتَّسَـعُ
مـا أفضـلَ الـصَّبْـرَ والقنـاعـةَ
للنّـاسِ جميعـاً لـو أنَّهم قـنِعـوا

(١) ديوان أبي العتاهية، ص ٣١١. دار صادر ـ دار بيروت، ١٩٦٥ م.

وأخـــدعَ الـلَّيـــلِ والـنّـهـــارِ لأقـــوامٍ
أراهـــم فـــي الـــغـــيِّ قـــد رقـــعـــوا
لِـــلَّهِ درُّ الـــدُّنـيـــا فـــقـــدْ لـــعـــبـــتْ
قـبلي بـقـــومٍ فمـــا تـــرى صـنـعـــوا
وكـــان مـــا قـــدَّمـــوا لأنـــفـــسِـــهِـــمْ
أعـــظَمَ نفعـــاً مِـــنَ الّـــذي ودعـــوا[1]

* * *

(وعلى نفسه بغى كل باغ)

وقريب منه كذلك، قوله:

أيُّ عَيْشٍ يـكـــونُ أبـلغَ مِـنْ عـيشٍ
كـــفـــافٍ قـــوتٍ بـقـــدرْ الْـــبَـــلاغِ
صـــاحـــبُ البَـغْي لـيسَ يسلمُ مِـنْـــهُ
وعـــلـى نـفـــسِـــهِ بَـغـــى كـــلُّ بـــاغِ
رُبَّ ذي نـعـمـــةٍ تـــعـــرّضَ مـنـــهـــا
حـــائـــلٌ بـيـنـنَـــه وبـيـــنَ الـمـســـاغِ
أبـــلغَ الـــدّهـــرُ في مـــواعـــظِهِ بـــل
زاد فـــيـــهـــنَّ لـــي عـــلـى الإبـــلاغ

(١) المصدر نفسه ص ٢٣٠.

غـيَّـبـتْـنـــي الأيّـــامُ عـقــلي ومـــالـي
وشـبـــابـي وصِـحَّـتـــي وفـــراغـي[1]

* * *

(وابتغينا من المعاش فضولاً)

ومن جيد زهديات أبي العتاهية، قولـه داعياً إلى القنـاعة والرضى بالقليل:

وَابْـتَـغَـيْـنَـــا مِـنَ الْـمَـعَـــاشِ فُـضــــولاً
لَـــوْ قَـنِـعْـنَـــا بِـــدونِـهَـــا لاَكْـتَـفَـيْـنَـــا
ولَعَمْـــري لَنَمْضِيَنَّ وَلاَ نَمْضِي بشَيءٍ
مِـنْـهَـــا إذا مَـــا مَـضَـيْـنَـــا
عَـجَـبــاً لِإمْـــريءٍ تيقَّـنَ أنَّ المـــوتَ
حَـــقٌّ فَـقَـــرَّ بِـــالْـعَـيشِ عَـيْـنَــا[2]

* * *

(قد أورثت حزناً طويلاً)

ودعـوة أبي العتاهيـة إلى القناعـة، والاكتفـاء من الـدنيـا بالقليل، تستدعي منه ذمّ الحرص والجشع والطمع والبخل، والإقبال على الدنيا، والاستسلام للشهوات، وغير ذلـك من

(١) الأغاني ١٤٥/٣.
(٢) الديوان ص ٢٣١.

الصفات المذمومة التي تطيع محبّ الدنيا بطابعها المميز، ومن هذا الشعر المتضمن لما ذهبنا إليه، قوله:

الـحـرصُ داءٌ قـد أضـرَّ
بِـمَـنْ تَـرى إلاّ قـليـلاً
كـم مِـنْ عـزيـزٍ قـد رأيْـتَ
الـحـرصَ صـيَّـرَهُ ذلـيـلا
فَـتَـجـنَّـبِ الـشّـهـواتِ وَاحْـذرْ
أنْ تـكـونَ لـهـا فـتـيـلا
فَـلَرُبَّ شـهـوةِ سـاعـةٍ
قـدْ أورثَـتْ حُـزْنـاً طـويـلا(١)

* * *

(خليليّ ما أكفى اليسير)

ومن جيد زهديات أبي العتاهية، قوله:

طلبْتُ الغِنى في كـلِّ وَجْهٍ فلم أجِـدْ
سبيـلَ الـغِنـى إلاّ سبيـلَ التـعفُّـفِ
خليليَّ مـا أكفى اليسيـرُ مِنَ الّـذي
نحـاولُ إنْ كُنّـا بمـا كَفى نَكْتَفي(٢)

---

(١) نفسه ص ١٨٩.

(٢) الديوان ص ٢٤٠.

(وأنت الدهر لا ترضى بحال)

وقوله الآخر:

متى تُمْسي وتصبحُ مستريحاً
وأنتَ الدّهرَ لا تَرْضى بحالِ
وقد يجري قليلُ المالِ مجرى
كثيرِ المالِ في سدِّ الخِلال
إذا كانَ القليلُ يسدُّ فقري
ولم أجدِ الْكثيرَ فلا أُبالي[1]

* * *

(يا خاطب الدنيا)

ومن رائق شعر أبي العتاهية الزهدي قوله يصف الدنيا وغرورها:

يا خاطبَ الدّنيا إلى نفسها
تَنَحَّ عنْ خطبتِها تَسْلَمِ
إنّ التي تخطبُ غرّارةٌ
سريعةُ العرسِ مِنَ الْمأْتمِ[2]

* * *

---

(١) نفسه ٣٢٦.

(٢) البيان والتبيين ٣/٤٧٦.

(سبحان ذي الملكوت)

ومنه أيضاً، قولـه مستفظعاً هول الموقف وفراق الحياة:

سـبحـانَ ذي الـملكـوتِ أيّـةُ لـيلةٍ
مخضتْ بـوجهِ صباحِ يومِ المـوقفِ
لـو أنَّ عـينـاً وهـمّتْهـا نـفيُهـا
مـا في الفـراقِ مُصَـوَّراً لم تـطرِف[1]

* * *

(ليس زاداً سوى التّقى)

ومن أسهل زهدياته وأبلغها دلالة، قوله:

أُذْنَ حَـيٍّ تَـسَـمَّـعـي
وَاسْـمـعـي ثـمّ عِـي وعـي
عِـشْـتُ تـسـعـيـنَ حـجّـةً
ثـم وافـيـتُ مـضـجـعـي
أنـا رَهْـنٌ لِـمَـصْـرَعـي
فَـاحْـذري مـثـل مَـصـرعـي
لـيسَ زاداً سِـوى الـتّـقـى
فَـخُـذي مِـنْـهُ أوْدعـي[2]

---

(١) نفسه ٣/٤٧٦.

(٢) البيان والتبيين ٣/٤٧٨. وعي: الأمر من وعي، للمؤنث.

(آخر هذا كلّه الموت)

ومن النسق عينه، قوله:

إِسْمَعْ فقد أَسْمَعَك الصَّوْتُ
إنْ لم تُبادرْ فَهُوَ الْفَوْتُ
نَلْ كلَّ ما شِئْتَ وعِشْ سالماً
آخرُ هذا كلِّهِ الموتُ

* * *

(والتفّت الساق منه بالساق)

ومن شعره الزهدي ويبدو أثر القرآن الكريم فيه، قوله:

لَوْ أنَّ عَبْداً لَهُ خزائِنُ ما في
الأرضِ ما عاشَ خَوْفَ إملاقِ
يا عَجَباً كُلُّنا يحيدُ عنِ
الحيْنِ وكلٌّ لِحينهِ لاقِ
كأنَّ حيًّا قدْ قامَ نادِبُه
والْتَفَّتِ السّاقُ منهُ بِالسّاقِ
واستلَّ منه حياتَه مَلَكُ الْموتِ
خفيّاً وقيلَ مَن راقِ

---

(١) المصدر نفسه ٣/٤٧٨.

(٢) البيان والتبيين ٣/٤٧٩. والإملاق: الفقر. والحين: المصير. والراق: اسم الفاعل من رقاه، إذا شفاه بالرّقي.

(وما الموت إلا رحلة)

ومن أروع ما قال في الموت:

وما الموتُ إلاّ رحلةٌ غيرَ أنّه
مِنَ الْمنزلِ الفاني إلى المنزلِ الباقي(١)

* * *

(ونلعب والدهر لا يلعب)

ومن رائع الشعر الزهدي قول أبي العتاهية:

أَنَلْهو وأيّامُنا تَذْهَبُ
ونلعبُ والدّهرُ لا يلعبُ
أيلهو ويلعبُ مَنْ نفسُه
تموتُ ومَنْ بيتُه يخرب
تَرى صُوَرَ اللّهوِ ممسوحةً
ولكنْ لها رونقٌ مُذْهَب
سيصدُقُ مَن ماتَ في هجْرِهِ
وقد كانَ في وصلهِ يكذبُ(٢)

* * *

(١) الإعجاز والإيجاز، للثعالبي، ص ١٦١ . دار صعب. بيروت.

(٢) مجلة معهد المخطوطات العربية ص ٣٠٧. ج ١. مجلد ٣٠. ١٩٨٦ م
والرونق: الصفاء والحسن والجمال.

(فعاش المريض ومات الطبيب)

ومن رائع زهده قوله:

نعى عنـدَ ظـلٍّ الشّبـابِ المشيـبُ
وَنـادتْـكَ بِـاسْمِ سـواكَ الخـطوبُ
فـكُنْ مستعـدّاً لِـداعي الـمنـونِ
فـكـلُّ الـذي هـو آتٍ قـريـبُ
وقـبلَكَ داوى الـطّبيـبُ الـمـريضَ
فعـاشَ المريضُ ومـاتَ الـطبيبُ[1]

* * *

(إنما الدنيا متاع زائل)

ومن جيد شعره الزهدي قوله:

إنّـمـا الـدُّنـيـا مـتـاعٌ زائـلٌ
فَـاقْـتَصِـدْ فيـه وَخُـذْ منـهُ وَدَعْ
عـجبٌ لِـلدّهـرِ كـمْ مِـن أُمَـمٍ
قـد أبادَ الـدهـرُ والـدهـرُ جَـذَعْ
يـا أخـا الْـمَيْـتِ الـذي شيَّـعـه
فـحـشـا الـتّـربَ عـلـيـهِ ورَجَـعْ

---

(١) العقد الفريد ١/٣٢٥.

لـيـتَ شـعـري مـا تـزوّدت مِـنَ
الـزَّادِ فيـا هـذا لِيـومِ المـطَّلَعْ(1)

* * *

(ورحى المنية تطحن)

وما أبلغ هذا البيت، على سهولته، يقول أبو العتاهية:

الـنـاسُ فـي غَـفَـلاتِـهـمْ
وَرَحـى الـمـنـيَّـةِ تـطحـنُ(2)

* * *

محمود الوراق (ت حوالي ٢٣٠ هـ)

(وفي غنى النفس الغنى الأكبر)

ومن شعراء بني العباس الذين زهدوا في الحياة، ثم نسكوا وتابوا إلى ربهم من بعد شقوة وفساد ولهو، محمود بن حسن الوراق الذي وجد في الانقطاع إلى الله وعبادته، وفي القناعة بما قسم له من الرزق، سعادة ما بعدها سعادة. يقول الوراق مؤكداً على مبدأ القناعة والرضى بقسم الله:

مَـنْ كـانَ ذا مـالٍ كـثـيـرٍ وَلَـمْ
يَـقْنَـعْ فـذاكَ الـمـوسـرُ المعسِـرُ

(1) محلة معهد المخطوطات العربية ص ٣٠٩. ج ١. مجلد ٣٠. ١٩٨٦ م.
(2) العقد الفريد ١/٣٣١.

وكـلُّ مـنْ كـان قـنـوعـاً وإنْ
كـانَ مُـقِـلاًّ فَـهُـوَ الـمـكـثـر
الـفقـرُ فـي النّفسِ وفيـهـا الغِـنـى
وفي غِنىَ النـفسِ الغِـنى الأكـبـرُ(١)

* * *

(هي الدنيا)

ويعجب الـوراق للذين يؤملون الخير والفلاح في الحياة الدنيا، فتراهم منصرفين إليها، يعملون لها بما أوتوا وهم عن الآخرة غافلون، فيقول محذراً:

هِـيَ الـدُّنْيَـا فَـلا يَـغْـرُرْكَ مِـنْـهـا
مـخـايِـلُ تستفِـزُّ ذوي الْـعـقـولِ
أقـلُّ قـليلِهـا يَـكْـفـيـكَ مِـنـهـا
ولـكـنْ ليس تـصـنـعُ بـالـقـلـيـلِ
تـشـيـدُ بـهـا وتـبـنـي كـلَّ يـومٍ
وأنـتَ على الـتّجـهُّـزِ والـرّحـيـلِ
وَمَـنْ هـذا الـذي يُـبـقـي عـلـيـهـا
مضـارِبَـهُ بِـمُـدْرجَـةِ السّـهـولِ(٢)

(١) العقد الفريد ٢/٢٠٧.

(٢) شعر الزهد ص ٢٣٦. والمخايل: الظنون والدلائل، جمع مخيلة، وتستفز: تثير. ومضاربه: منازله، ومكان ضربه وإقامته ورحيله.

(كأنها لا ترى ما يصنع القدر)

وينظر الوراق بعين البصيرة إلى ما تفعله الأيام بالناس، وما تتصرف به الأقدار فيخلص إلى القول الحكمي الزهدي:

لا ينفعُ الجِدُّ والتَّشميرُ والحذرُ
خُطَّ الكتابُ فلا وِرْدٌ ولا صَدَرُ
تستعجِلُ النّفسُ آمالاً لتبلغها
كأنَّها لا ترى ما يصنعُ القدر[1]

* * *

(كذاك انتقال الدول)

حتى إذا ما أيقن الوراق بدنو الأجل، وفوت الأوان، وما تحدثه الأيام بصروفها قال باكياً:

بكيْتُ لِقُرْبِ الأَجَلْ
وبعد فواتِ الأَمَلْ
وواقِدِ شيبٍ طَرا
بعِقبِ شبابٍ رحل
شبابٌ كأنْ لم يكُنْ
وشَيبٌ كأنْ لم يزل

(١) شعر الزهد، ص ٢٣٩ . والتشمير: النهوض والتهيؤ.

طـواكَ بـشـيـرُ الـبـقـا
وجـاء نـذيـرُ الأجـل
طـوى صـاحـبٌ صـاحـبـاً
كـذاكَ انْـتـقـالُ الـدُّوَل(1)

* * *

(يا ناظراً)

ومن رقيق شعر الوراق في الزهد، قوله محذراً من هول الذنب:

يـا نـاظـراً يـرنـو بِـعـيـنَـيْ راقـدِ
ومشـاهـداً لِـلأمـرِ غيـرَ مشـاهِـدَ
منَّيْتَ نفسَـكَ ضِـلّةً وأبـحْـتهـا
طـرقَ الـرّجـاءِ وهنَّ غيـرُ قـواصـد
تصـلُ الذّنـوبَ إلى الذنـوبِ وترتجي
درْكَ الـجنـانِ بـهـا وفـوزَ العـابـد
ونـسـيـتَ أنَّ الـلَّهَ أخـرجَ آدمـاً
منهـا إلى الـدنيـا بـذنـبٍ واحـدِ(2)

---

(1) عيون الأخبار ٢/٣٢٦.

(2) الكامل ١/٢٣٥. ويرنو: ينظر. وضلة: توهماً. والدرك: الإدراك والوصول.

(أليس عجباً)

ومن جيد شعره، وهو في غاية السهولة، قوله:

أَلَيْسَ عجباً بأنَّ الْفتى
يُصابُ بِبعضِ الّذي في يديْهِ
فَمِنْ بيْنِ باكٍ لهُ موجعٍ
وبينَ مُعَزٍّ مُغِذٍّ إليه
ويسلبُه الشَّيْبُ شرْخَ الشبابِ
فليسَ يُعزّيهِ خلقٌ عليه[1]

* * *

الإمام الشافعي (ت ٢٠٤ هـ)

(فلست أول مجنون بمرزوق)

من الفقهاء الذين دعوا إلى الزهد في الحياة الدنيا، ومن أجدر بهذه الدعوة من الفقهاء، أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي صاحب المذهب الفقهي المعروف باسمه، فهو يزري على أصحاب المال جمعهم للمال في ما هم يقضون العمر، سادرين عن تقوى الله، مشغولين بجمعه وتحصيله، وفي الغالب فإن أصحابه من الجهلة ممن لا نصيب لهم من العقل

(١) البيان والتبيين ٣/٤٨٤.

أو العلم أو الخلق القويم. يقول الشافعي، وشعره يتميز بالسهولة والوضوح.

لـو كنتَ بالعقـلِ تُعطى ما تريـدُ بـهِ
لمـا ظفـرْتَ مِنَ الـدُّنيـا بِمسـروقِ
رُزقْتَ مـالاً على جهـلٍ فعشْتَ بـه
فـلستَ أوّلَ مـجـنـونٍ بِـمـرزوقِ(١)

* * *

(ويأبى الله إلا ما أرادا)

ويقول ثانية، في المعنى نفسه تقريباً:

يُـريـدُ الـمـرءُ أنْ يُـعـطى مُـنـاهُ
ويـأبـى الـلّـهُ إلاّ مـا أرادا
يـقـولُ الـمـرءُ فـائـدتي ومـالـي
وَتَقْـوى اللّهِ أفضـلُ مـا اسْتفـادا(٢)

* * *

(ولا عرفوا لمكرمة ثبوتاً)

ويقول ثالثة:

(١) ديوان الشافعي ص ٨٥. تحقيق زهدي يكن. دار الثقافة. بيروت ١٩٦١ م.

(٢) حلية الأولياء ٩/١٥١. للأصفهاني. دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٧ م.

وأنـطقـتِ الـدّراهمُ بعـدَ صمْتٍ
أنـاسـاً بعـد مـا كـانـوا سُكـوتـا
فمـا عـطفـوا على أحـدٍ بِفضـلٍ
ولا عـرفـوا لـمِكـرمُـةٍ ثبـوتـا(١)

* * *

(قنعت بالقوت من زماني)

ومن الشعر الدال على قناعة الشفاعي وزهده في الحياة الدنيا قوله:

قـنعْـتُ بـالقـوتِ مِـن زمـاني
وصـنْـتُ نـفسـي عـن الـهـوانِ
خـوفـاً مـنَ النـاسِ أنْ يقـولـوا
فـضـلُ فـلانٍ عـلى فـلانِ
مَـنْ كنْـتُ عـن مـالِـه غـنـيّـاً
فـلا أبـالـي إذا جـفـانـي(٢)

* * *

(كم ضاحك)

ومن جيد شعر الشافعي، قوله محذراً من يجعل همّه جمع

---

(١) المصدر نفسه ١٤١/٩.

(٢) الديوان ص ١٦٢.

المال، والانشغال بأمور الدنيا، دون التفكير بالآخرة، وبالموت الذي يحيط بنا جميعاً. يقول الشافعي:

كَمْ ضاحكٍ والْمنايا فوقَ هامتهِ
لو كانَ يعلمُ غيباً ماتَ مِن كَمَدِ
مَنْ كانَ لم يُؤْتَ عِلماً في بقاءِ غدٍ
ماذا تفكُّرُهُ في رِزْقِ بعد غدِ[1]

* * *

(وقد قسم الرحمن رزق الخلائق)

والذي عزّز روح الزهد في نفس الشافعي، هو ثقته الكاملة بالله تعالى ذكره، فهو الرازق، والمقدّر، والمفضل. يقول:

توكّلْتُ في رزقي على اللّهِ خالِقي
وأيقنْتُ أنّ اللّهَ لا شكَّ رازقي
وما يكُ مِن رزقٍ فليسَ يفوتُني
ولو كانَ في قاعِ البحارِ العوامق
ففي أيّ شيءٍ تذهبُ النفسُ حَسْرةً
وقد قسّمَ الرّحمنُ رِزقَ الخلائِقِ[2]

* * *

(١) ديوان الشافعي ص ٨٥. والهامة: الرأس. والكمد: الغم.
(٢) نفسه ١٣٨.

(وما كل نفس به راضية)

ومن الشعر الزهدي الذي يعتمد صاحبه فيه على التوكل، والرضى بما يرزق الخالق، والاكتفاء بالقليل من متاع الدنيا، ما قاله منصور بن إسماعيل التميمي، وكان من فقهاء الشافعية بمصر. يقول منصور:

إذا قـال لـي قـائـلٌ كيـفَ أنـتَ
أقـولُ لـهُ أنـا فـي عـافِـيَـةْ
لِأشيـاءَ منهـا الـرِّضـا بـالكفـافِ
ومـا كـلُّ نـفسٍ بـهِ راضـيَـةْ[1]

* * *

(ألا إن رزق الله ليس يفوت)

وهو، أي منصور التميمي، يؤكد على ثقته الكبيرة بالله تعالى، وعلى أنه هو المكفل بالأرزاق، فلا ييأسنّ أحد من رحمته تعالى، ولا يستأثرن بمال يزيد عن حاجته. يقول منصور:

ألا إنَّ رزقَ الـلَّهِ لـيسَ يـفـوتُ
فـلا تـرعَـنْ إنَّ الـقـليـلَ يـفـوتُ

(١) بهجة المجالس، للقرطبي ٢/ ٣٠٤. دار الكتاب العربي. بيروت.

رضيتُ بقسْم اللَّهِ حظّاً لأنّه
تكفَّلَ رزقي مَن له الْمَلَكُوتُ
سأقنعُ بالمالِ القَليلِ لأنّني
رأيتُ أخا المالِ الكثيرِ يموتُ[1]

* * *

(إني قنعت بقوت)

ومن أصدق الشعر المعبر عن حالة الزهد، لدى منصور التيمي، هذا الشعر السهل الذي يصور حال صاحبه أفضل تصوير.

إنـي قنعْتُ بقوتٍ
ولُبْسِ ثَوْبٍ مُرَقَّعْ
ولم يكنْ لي عيالٌ
نفسي لهمْ تتفجَّعْ
ولا بنونَ صِغارٌ
قلبي لهم يتقطَّع
ولا صديق مُصافٍ
فراقَه أتوقَّعْ

(١) نفسه ٢/٣٠٤. والملكوت: الملك الواسع.

وقـــد عـــزفْــتُ عـــنِ
الـلَّهْــوِ والـغِـنـى والـتَّـمــتُّــع(١)

* * *

(والوزر على مكتسبيه)

ويؤكد منصور التميمي المعنى نفسه فيقول، وهو من أسهل الكلام، وأبسط العبارة:

مَنْ كَفاهُ مِن مساعيهِ رغيفٌ يَغْتَذيـهِ
ولَـهُ بيتٌ يُـواريـهِ وثـوبٌ يكتسيـــهِ
فلما ذا يبذلُ العِرْضَ لِنَذْلٍ أو سفيهِ
كلُّ مالٍ منعتْهُ السّيرَ أيـدي باذليـهِ
فَهْوَ لِلوارثِ والوِزْرُ على مكتسبيهِ(٢)

* * *

(فأمرك عندي عجيب عجيب)

ومن أعجب العجب في نـظر منصور التميمي، أن يـرى الإنسان أن الموت آتٍ لا بد منه، وأن الذي يذهب لا يعود، ومع ذلك فإن هذا الإنسان سادر في لهوه وغيّه. يقول منصور:

---

(١) بهجة المجالس ٢/٢١١، وعزفت: ملت وانصرفت.

(٢) المصدر نفسه ٢/٣١٤.

إذا كُـنْـتَ تـزعـمُ أنَّ الـفـراقَ
فـراقَ الـحـيـاةِ قـريـبٌ قـريـبُ
وأنَّ الـمـقـدّمَ مـا لا يـفـوتُ
عـلى مـا يفـوتُ مـصيـبٌ مـصيـبُ
وأنـتَ عـلـى ذاكَ لا تَـرْعـوي
فـآمـرُكَ عِنـدي عجيبٌ عـجيـبُ(١)

* * *

أحمد بن يوسف (ت ٢١٣ هـ)

(ما هذه الدنيا بدار إقامة)

ومن الذين دعوا إلى تـرك متاع الـدنيا، والتـزود بالعمـل الصالح، والعمل للآخرة، أحمد بن يوسف بن صبيح، وكان مـولى لبني عجيل، في العصـر العباسي الأول؛ ومن شعـره الزهدي المتضمن لهذه المعاني قوله:

مـا بعـدَ شيبِـكَ غيـرُ لـومِـكَ فـاتَّخِـذْ
زاداً لِنَفْسِـكَ فـالـرَّحيـلُ قـريبُ
مـا هـذِه الـدنـيـا بِـدارِ إقـامـةٍ
لا تـوطـنـنَّ بـهـا وأنـتَ غـريـب

(١) عيون الأخبار ٢/ ٣٠٤.

أينَ الأُولى أهـل السيـادةِ والنُّهى
والمطعمونَ ومـا تـدرُّ حَلوب
أخنى الزمـانُ عليهـمُ بشعارِه
وسقتْهُمُ كـأسَ المنونِ شَعوبُ
وغـداً جـزاءُ سـعادةٍ أو شقْوةٍ
أفـلا يُنيبُ إلى الرَّشادِ مُنيب
والمـوتُ يغتالُ النفوسَ ولم يـزلْ
لِلموتِ داعٍ للنفوس طَلوب[1]

* * *

(لكل أناس من طوارقها الثكل)

ومن أروع شعر الزهد الداعي إلى نبذ الدنيا والعمل للآخرة، ما قاله أبو يعقوب إسحاق بن حسان، مولى بني خريم، زمن العباسيين في العصر الأول؛ يقول الخزيمي:

تَـزَوَّدْ مِنَ الدُّنْيَا متاعاً لِغيرِها
فقدْ شَمَّرَتْ حَذَّاءَ وَانْصرمَ الْحَبْلُ

(١) أخبار الشعراء، للصولي ص ١٦٩. وشعوب: اسم للمنية. وينيب: يميل ويثوب.

وهـل أنتَ إلاّ هـامـةُ اليـومِ أو غـدٍ
لكـلِّ أناسٍ مِن طـوارقِها الثّكـلُ(٢)

* * *

(ولكن لهذا الرزق وقت موقت)

ويقول من شعر آخر يدخل في باب الزهد عن طريق التوكل على الله تعالى، والاعتماد عليه في الرزق المقدر:

ولـكنْ لِـهـذا الـرّزقِ وقتٌ مـوقّـتٌ
يُـقَـسِّـمُـهُ بـيـنَ الْـبَـرِيَّـةِ واهـبُـهْ
فليسَ بِعجـزِ المـرْءِ أخـطأه الـغنـى
ولا بـاحتيـالٍ أدركَ المـالَ كـاسبُـهْ(٣)

* * *

أبو تمام (ت ٢٣١ هـ/ ٨٤٥ م)

(وأنت غداً فيها تموت وتقبر)

ومن أروع الشعر الحكمي والزهدي معاً، ما قاله أبو تمام، واسمه حبيب بن أوس الطائي، الشاعر العباسي النابه الذكر؛

---

(١) الشعر والشعراء، لابن قتيبة ٢/٨٥٧. وشمرت: نهضت. وحذّاء: صارمة وقاطعة. وانصرم: انقطع. والهامة: طائر: أسطوري يخرج من رأس القتيل مطالباً بالثأر.

(٢) بهجة المجالس ١/١٤٥. والبرية: الخلق.

وقد غلب عليه التفكير بالحياة والموت، فخلص إلى أن العمر قصير جداً، وأن الدهر يكيد للإنسان، فلا مندوحة من العمل الصالح، فلا يستحق العمل من أجله والسعي للآخرة قبل فوات الأوان. يقول أبو تمام، وشعره من أجود الشعر، وأفصحه، وأروعه:

أَلِلْعُمْرِ في الدُّنيا تَجِدُّ وتعمرُ
وأنتَ غداً فيها تموتُ وتُقْبرُ

تلقّحُ آمالاً وترجو نِتاجَها
وعمُركَ مِمّا قد تُرَجّيهِ أَقْصَرُ

وهذا صباحُ اليومِ ينعاكَ ضوؤُه
وليلتُه تنعاك إنْ كنتَ تشعر

تحومُ على إدراكِ ما قد كُفِيتَهُ
وتقبلُ بالآمالِ فيه وتُدبِر

ورزقُكَ لا يعدوك إمّا مُعَجَّلٌ
على حالِه يوماً وإمّا مؤخّر

فلا تأمنِ الدّنيا إذا هيَ أقبلتْ
عليكَ فما زالتْ تخونُ وتدبر

وشمِّرْ فقد أبدى لكَ الموتُ وجهَهُ
وليسَ يَنالُ الفوزَ إلاّ المشمّر

تذكّرْ وفكّرْ في الذى أنتَ صائرٌ
إليهِ غداً إنْ كنتَ مِمَّنْ يفكر
فلا بدَّ يوماً أنْ تصيرَ لِحُفْرَةٍ
بأثنائها تُطوى إلى يومٍ ينشرُ
تطهَّرْ وألْحِقْ ذنبَكَ اليومَ توبةً
لعلّكَ منه إنْ تطهَّرْتَ تطهر
فهذي اللّيالي مُؤْذِناتُك بالْبِلى
تروحُ وأيّامٌ كذاكَ تبكّر
وأخلِصْ لِدينِ اللّهِ صدراً ونيّةً
فإنّ الذي تُخفيهِ يوماً سيظهر
وقد يسترُ الإنسانُ باللّفظِ فعلَه
فيظهرُ عنه الطّرفُ ما كانَ يستر
تأمَّلْ وفكّرْ في الذي أنتَ صائرٌ
إليه غداً إنْ كنتَ مِمَّنْ يفكّر(١)

* * *

(وأبقى صريعاً بين أهلي جنازةٌ)

ومن أروع شعر الزهد، وأجوده، وأفصحه عبارة، ما قاله أبو

---

(١) ديوان أبي تمام ص ٥٩٤. وشمّر: انهض وتهيأ. وانظر أيضاً: معادن الجواهر ونزهة الخواطر ص ٤٢٠ ـ ٤٢١.

تمام، وقد تصور نفسه ينازع سكرات الموت، ثم ميتاً مسكنه اللحد، حيث الوحشة وطول الثواء. يقول أبو تمام تائباً من ذنبه، نادماً على ما سوّف من عمله:

أَلَمْ يَأْنِ تركي لا عليَّ ولا لِيا
وعزمي على ما فيهِ إصلاحُ حاليا
وقد نالَ منّي الشّيْبُ وابيضَّ مفرِقي
وغالتْ سوادي شُهْبُهُ في قذالِيا
أصوّت بالدّنيا وليستْ تُجيبُني
أحاولُ أنْ أبقى وكيفَ بقائيا
وأبقى صريعاً بينَ أهلي جِنازةً
ويحوي ذَوُو الميراثِ خالصَ ماليا
أقولُ لِنفسي حينَ مالتْ بِصفوِها
إلى خطراتٍ قد نتجْنَ أمانيا
هبيني مِنَ الدُّنيا ظفرْتُ بِكلِّ ما
تمنّيتُ أو أُعطيتُ فوقَ أمانيا
أليسَ الليالي غاصباتي بِمهجتي
كما غصبتْ قبلي القرون الخواليا
ومُسْكِنَتي لحداً لدى حفرةٍ بها
يطولُ إلى أخرى الليالي ثوائيا

أخـــافُ إلا هـي ثـمَّ أرجـو نـوالَـهُ
ولـكنَّ خـوفـي قـاهـرٌ لِـرَجـائيـا
على إثْرِ مـا قـد كـانَ منّي صبـابـةً
لـيـالِيَ فـيهـا كـنتُ لِـلَّهِ عـاصـيـا
فـإنّـي جـديـرٌ أنْ أخـافَ وأتّـقـي
وإنْ كنتُ لم أُشركْ بِذي العرش ثانيـا
وأدّخـر التقـوى بمجـهـودِ طـاقتـي
وأركب في رُشْدي خِلافَ هـوائيـا[1]

* * *

ابن الرومي (ت ٢٨٣ هـ/ ٨٩٦ م)

(تتجافى جنوبهم)

ومن جيد شعر الزهد، ما قاله أبو الحسن علي بن العباس، الشاعر العباسي، والمعروف بابن الرومي. وشعره يتميز بالسهولة وغلبة نزعة المنطق عليه، وهذا ما نلاحظه في أبياته الزهدية التالية التي يصور بها حالات العابدين الزاهدين:

---

(١) ديوان أبي تمام ص ٥٩٦. شرح التبريزي. دار المعارف ١٩٦٥ م. ويأن: يحن. وغالت: صرعت. وشهبه، كناية عن الشيب، والقذال: ما بين الرأس وأصل العنق. واللحد: جانب القبر. والصبابة: الهوى والميل.

تتجافى جُنوبُهُمْ
عَنْ وطيءِ الْمضاجعِ
كُلُّهُمْ بينَ خائفٍ
مستجيرٍ وطامعِ
تركوا لذّةَ الْكَرى
لِلعيونِ الهواجعِ
ورعَوْا أنجمَ الدُّجى
طالعاً بعدَ طالعِ
لو تراهمْ إذا همُ
خطروا بالأصابعِ
وإذا هُمْ تأوّهوا
عندَ مرِّ القوارعِ
وإذا باشروا الثَّرى
بالخدودِ الضّوارعِ
واستهلّتْ عيونُهم
فائضاتِ المدامعِ[1]

(١) ديوان ابن الرومي ٤/١١٩. دار صادر بيروت ١٩٦٥ م وتتجافى: تتجنب. والمضاجع: أمكنة النوم والإضطجاع. ومستجير: لائذ. طالب من يجيره. والكرى: النوم. والهواجع: جمع هاجعة، وهي النائمة. والقوارع: الشدائد، جمع قارعة، وهي يوم القيامة. واستهلت: ابتدرت، وسكبت.

(حتى متى نشتري الدنيا بآخرة)

وله من جيد الشعر، وهو يفيض حكمة وموعظة وزهداً، قوله:

حتّى متى نَشْتري الدُّنيا بِآخِرةٍ
سفاهةً ونبيعُ الْفَوْقَ بِالدُّونِ
معلّلينَ بآمالٍ تخادِعُنا
وَزُخْرفٍ مِن غرورِ العيشِ موصونِ(١)

* * *

(فهل أنت عن غيّة مرتدع)

واستحسن من ابن الرومي قوله الزهدي:

ألا ليسَ شيبُكَ بِالْمُنْتَزَعْ
فهلْ أنتَ عنْ غَيَّةٍ مرتدِعْ
وهلْ أنتَ تاركُ شكوى الزمانِ
إذا شئتَ تشكو إلى مستمعْ
فشيْبُ أخي الشّيبِ أمنيّةٌ
إذا ما تناهى إليها هَلَعْ(٢)

* * *

(١) شعر الزهد ص ٣٠٦.
(٢) رسالة الغفران، ص ٣٦.

(رضيت بدون الكفاية قوتاً)

ومن الذين عزفوا عن الدنيا، وانقطعوا إلى العبادة والتهجد، أبو عقال بن علوان الذي ترك شعراً في الزهد يتميز بالبساطة والعفوية والسهولة، يقول ابن علوان مؤكداً ما قلناه:

أَجِبْ داعِيَ اللَّهِ لا تعصهِ
فقد جادَ بالنّصح جهراً ونادى
ولا تلْهَ بالموبقاتِ التي
أبادتْ بوائقُها مَن تمادَى
رضيتُ بِدونِ الكفايةِ قوتاً
وبِاللَّهِ عنْ كلِّ خَلْقٍ عِمادا
فأضحى الملوكُ وأهلُ النّعيمِ
أقلَّ الْبَرِيَّةِ عندي عِدادا
وأسقطْتُ لومي عنِ الْعالمينَ
فَمَنْ شاءَ ودَّ وَمن شاءَ عادى
فلم أرَ عيشاً كعيشِ القنوع
ولم أرَ مثلَ القنوعِ مُرادا[1]

(١) رياض النفوس ١/٤٢٨. والبوائق: أحداثها ونكباتها.

(لعمرك ما الدنيا بشَيء أريده)

وما أحسن ذمّه الدنيا ووصفه لها، إذ يقول:

لَعَمْـرُكَ مـا الـدّنيـا بشـيءٍ أُريــدُهُ
سـوى أنّهــا نــزْلٌ وأنّـي مسـافــرُ
إذا أقـبـلَتْ يـومـاً عـلـيَّ بِـوُدِّهـا
فـإنّي بمـا تُـوليـه بـالبـرِّ كـافـرُ(١)

* * *

بكر بن حمّاد (ت ٢٩٦ هـ)

(كأنك قد أمنت من المعاد)

ومن جيد شعر الزهد، وأرقه، وأصدقه، ما خاطب به بكر بن حماد الزناتي، من تاهرت بالجزائر، نفسه. يقول بكر متأسياً بأخبار الماضين الذين لم تدم لهم الحياة:

نـهـارٌ مـشـرقٌ وظـلامُ لـيـلٍ
ألَـحّـا بِـالْـبـيـاضِ وبِـالـسَّـوادِ
هُـمـا هَـدَمـا دَعـائمَ عُمْـرِ نـوحٍ
ولـقـمـانٍ وشـدّادٍ وعـاد
فـيـا بـكـرَ بـنَ حـمّـادٍ تـعـجّـبْ
لِـقـومٍ سـافـروا مِـن غـيـرِ زاد

(١) المصدر نفسه ١/٤٣٧.

تبيتُ على فراشِكَ مطمئّناً
كأنّكَ قد أمِنْتَ مِنَ الْمعادِ(1)

* * *

(فصفوها لك ممزوج بتكدير)

ومن شعر بكر بن حماد الزهدي الذي يصور فيه حرص الناس على الحياة الدنيا، وقد فاتهم أن الرزق مقدر، وليس للإنسان إلا ما هو في ظهر الغيب، قوله:

النّاسُ حرصٌ على الدّنيا وقد فسدتْ
فَصَفْوهَا لكَ ممزوجٌ بِتكديرِ
فَمِنْ مُكِبٍّ عليها لا تساعدُه
وعاجزٍ نالَ دنياهُ بِتقصيرِ
لم يدركوها بعقلٍ عندما قسمتْ
وإنما أدركوها بالمقاديرِ
لو كانَ عنْ قدرٍ أو عنْ مغالبةٍ
طارَ البُزاةُ بأرزاقِ العصافيرِ(2)

* * *

(1) شعر الزهد ص ١١٧ . وعاد وشداد، من أشداء العرب الأقدمين. ولقمان، هو لقمان بن عادياء، الحكيم العربي القديم.

(2) بهجة المجالس ١/١٤٣ . والبزاة، جمع بازٍ، وهو من الطيور الكاسرة.

(فقولوا له يزداد في الطول والعرض)

وللتأكيد على ما ذهب عليه بكر في قوله السابق، يقول:

تبـارَكَ مَـنْ سـاسَ الأمـورَ عـبـاده
وذلَّ لـهُ أهـلُ الـسمٰـواتِ والأرضِ
ومـن قَـسَّـمَ الأرزاقَ بـيـنَ عـبـادهِ
وفضَّلَ بعضَ الناسِ فيها على بعضِ
فمنْ ظنَّ أنَّ الحـرصَ فيهـا يـزيـدُه
فقولوا له يزدادُ في الطّولِ والعرضِ[1]

* * *

بعضهم

(والدهر ذو فنون)

ومن بليغ القول في الزهد والتأسي بأخبار الماضين قول بعضهم:

مـا لـذّة العيش والـفتـى للدهر والدهـر ذو فنون
أهـلك لسماً وقبل طـسماً أهـلك عـاداً وذا جدون
وأهـل جـاسـم ومـأرب وحـيّ لقمان والنّقـون
والـيـسر لـلعـسر والغـنـى لـلفقر والـحيّ للمنون[2]

* * *

---

(١) العقد الفريد ٣/٢٠٧.

(٢) البيـان والتبيين ١/ ١٠٠. وطسم وعاد من الأمم والقبـائـل الغـابـرة. وذا حدون، من ملوك اليمن.

(أترضى بسبق المتقين إلى الله)

ومن الذين لهوا في حياتهم، وأسرفوا كثيراً في البذخ والترف والمجون، الخليفة العباسي الذي ولي الخلافة يوماً وليلة، ثم خلع، فقتل، عبد الله بن المعتز، الشاعر المتفنن، والعالم بالبديع.

عبد الله بن المعتز، هذا، ترك شعراً في الزهد والحكمة والتوبة، وهو على جانب كبير من الجودة والفصاحة وحرارة العاطفة، وصدق الوجدان. يقول ابن المعتز:

إلى أيِّ حينٍ كنْتَ في صَبْوَةِ اللاّهي
أمَا لَكَ في شيءٍ وُعِظْتَ بهِ ناهي
ويا مذنباً يرجو مِنَ اللّهِ عَفْوَهُ
أَتَرْضى بِسبقِ المتّقينَ إلى اللّهِ(٢)

* * *

(فعمرك أيام تعدّ قلائل)

ويقول، من بوح وجداني صادق، وشعر رائق، ونلمس فيه التوبة والندامة والحسرة:

---

(١) الديوان ص ٤٥٣. دار بيروت ١٩٦١ م.

نَسيرُ إلى الآجالِ في كلِّ ساعةٍ
فأيّامُنا تُطْوى وهُنَّ مراحِلُ
ولمْ أرَ مثلَ الموتِ حتى كأنَّهُ
إذا ما تَخَطَّتْهُ الأمانيُّ باطلُ
وما أقبحَ التّفريطَ في زمنِ الصِّبا
فكيفَ بهِ والشّيبُ في الرّأسِ شاعل
ترحَّلْ مِنَ الدُّنيا بِزادٍ مِنَ التُّقى
فَعُمْرُكَ أيّامٌ تُعَدُّ قلائِلُ(١)

* * *

(والعمر في لا شيء يذهب)

ومن جيد شعره الزهدي المعبر، ويتميز بالسهولة، قوله:

جَدَّ الزّمانُ وأنتَ تلعبْ
والعمرُ في لا شيءَ يذهبْ
كم قد تقولُ غداً أتوبُ
غداً غداً والموتُ يُقربْ(٢)

* * *

(١) المستظرف من كل فن مستطرف ص٣١٣. دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣م.
(٢) الديوان ص ٩٨.

(فليس يخطيء ما قد قدر الله)

ومن شعره الزهدي الرائع قوله:

مُسَهَّدٌ في ظلامِ الليلِ أوّاهُ
عَضَّتْهُ لِلدّهْرِ أنيابٌ وأفواهُ
إنْ كانَ يُخطيءُ سمعي ما أُقَدِّرُه
فليسَ يُخطِيءُ ما قدْ قَدَّرَ اللَّهُ[1]

* * *

الألبيري (ت ٣١٢ هـ)

(وذي غنى)

ومن الذين دعوا إلى العزوف عن الغنى، وجمع المال، والاكتفاء بالقليل من الزاد، أبو جعفر أحمد بن عمرو، الأندلسي، المعروف بالألبيري، وكان محدثاً ومتفقهاً. يقول في هذا المعنى، مؤكداً على أن لا شيء يدوم أو يبقى على حاله:

وَذِي غِنى أوْهَمَتْهُ هِمَّتُهُ
أنَّ لِغنى عنهُ غيرُ منفصلِ

(١) الأغاني ١٤١/٩.

فَجَرَّ أذيالَ عُجْبِهِ بَطراً
وَاخْتالَ لِلكبرياءِ في حُلَل
برَتْهُ أيدي الخطوبِ بَرْيَةً
فَاعْتاضَ بعدَ الجديدِ بالسَّملِ
كفى بِنَيْلِ الكفافِ منه غنىً
عنهُ فكنْ منهُ غيرَ محتفلِ (١)

* * *

(يا عامر الدنيا)

ومن جيد شعره الزهدي، قوله:

يا عامرَ الدّنيا لِتَسْكُنَها وما
هي بالّتي يَبقى لها سُكّانُ
تغنى وتبقى الأرضُ بعدَكَ ما
يبقى المناخُ وترحلُ الرُّكبانُ
أأسَرُّ في الدُّنيا بكلِّ زيارةٍ
وزيارتي فيها هي النُّقصانُ (٢)

* * *

سريح بن يوسف (ت ٢٣٥ هـ)

(فالله يرزق لا عقل ولا حسب)

ومن الذين دعوا إلى الزهد في الحياة الدنيا، وإلى عدم

(١) شعر الزهد ص ٩٧. والسمل: البالي.
(٢) المرجع نفسه ص ١١٧.

السعي وراء الرزق. بالكد، والكدح، سريج بن يوسف بن إبراهيم البغدادي، وكان من المحدثين. يقول سريج:

يا طالبَ الرِّزقِ في الآفاقِ مجتهداً
أبقيْتَ نفسَكَ حتى شَفَّكَ التَّعَبُ
تَسعى لِرزقٍ كفاكَ اللَّهُ مُؤْنَتَهُ
أقصِرْ فرزقُكَ لا يأتي بهِ الطَّلَب
فَاسْتَرْزِقِ اللَّهَ ممّا في خزائِنِهِ
فاللَّهُ يرزقُ لا عقلٌ ولا حَسَبُ[1]

* * *

ابن بسام (ت ٣٠٣ هـ)

(والناس بعد الحادثات سماع)

ومن أرق شعر الزهد، وأصوبه ما قاله علي بن محمد بن منصور، الأندلسي، والمعروف بابن بسام إذ هو راعه الشيب، فندم على ما فاته، وقال تائباً نادماً:

أقصرْتُ عنْ طلبِ البطالةِ والصِّبا
لما علاني لِلمشيبِ قِناعُ

(١) بهجة المجالس ١/١٤٠. وشفك: أسقمك. والمؤنة: القوت وما يدّخر منه.

فدعِ الصِّبا يا قلبُ وَاسْلُ عن الْهوى
ما منكَ بعدَ مشيبِكَ اسْتِمْتاعُ
وانْظُرْ إلى الدنيا بعينِ مودّعٍ
فلقدْدنا سفرٌ وحانَ وداع
والحادثاتُ موكّلاتٌ بِالْفتى
والناسُ بعدَ الحادثاتِ سماعُ[1]

* * *

ابن عبد ربه (ت ٣٢٨ هـ)

(وكان مني الموت قيد يد)

ومن الذين تابوا إلى ربهم، وندموا على ما قصروا به في جنب الله، ثم راحوا يتصورون أنفسهم وقد تخطفهم الموت، أحمد بن محمد بن عبد ربه، الأندلسي، وصاحب «العقد الفريد» إذ يقول من الشعر الزهدي:

مَنْ لي إذا جُدْتُ بينَ الأهلِ والولَدِ
وكان مِنّي نحو المَوتِ قيدُ يدِ
والدّمعُ يهملُ والأنفاسُ صاعدةٌ
فالدمعُ في صَبَبٍ والنفسُ في صعُدِ

---

(١) شعر الزهد ص ٢٦٠.

ذاك القضاءُ الذي لا شيء يَصرِفُهُ
حتى يفرِّقَ بينَ الرّوحِ والجَسدِ[1]

* * *

(لا بد لله من إنجاز ما وعدا)

ويقول ثانية، تائباً نادماً:

بادِرْ إلى التَّوْبَةِ الخلصاءِ مجتهداً
والموتُ وَيْحَكَ لم يمددْ إليكَ يدا
وَارْقُبْ مِنَ اللّهِ وعداً ليسَ مُخْلِفُهُ
لا بدَ لِلّهِ مِن إنجازِ ما وَعَدا[2]

* * *

(إذا اخضر منها جانب جفّ جانب)

ويقول ابن عبد ربه ذاما الدنيا، ثالثة:

ألا إنّما الدنيا نضارةُ أيْكَةٍ
إذا اخْضَرَّ منها جانبٌ جَفَّ جانبُ
هي الدّارُ ما الآمالُ إلاّ فجائعٌ
عليها ولا اللّذّاتُ إلاّ مصائب

(١) العقد الفريد ١/٣٢٤.

(٢) المصدر نفسه ١/٣١٩. والخلصاء: الخالصة والنصوح. يخلفه: يؤجله وينقضه.

فــلا تكتحِــلُ عينــاكَ فيهــا بِعَبْــرَةٍ
على ذاهبٍ منهــا فــإنّــكَ ذاهــب[1]

* * *

(فإن الحزن عاقبة السرور)

ومن أرق شعره الزهدي، وأصدقه لوعة ولهجة، قوله مخاطباً نفسه وقد تصورها ما تزال عاكفة على اللهو والفجور:

أتــلهــو بــيــنَ بــاطــيــةٍ وزيــرِ
وأنــتَ مِــنَ الْــهــلاكِ عــلى شَــفــيــرِ
فــيــا مَــنْ غَــرَّهُ أمــلٌ طــويــلٌ
يُــؤَدِّيــهِ إلــى أجــلٍ قــصــيــر
أتــفــرحُ والــمــنــيّــةُ كــلَّ يــومٍ
تُــريــكَ مكــانَ قــبــرِكَ في القــبــورِ
هي الــدنيا فــإنْ سَــرَّتْــكَ يــومــاً
فــإنَّ الــحــزنَ عــاقــبــةُ الــسّــرورِ
ستسلب كــلَّ مــا جَــمَّــعْــتَ مــنــهــا
كــعــاريــةٍ تُــرَدُّ إلــى الــمــعــيــر
وتــعــتــاضُ الــيــقــيــنَ مِــنَ الــتَّــظَــنّــي
ودار الــحــقِّ مِــن دارِ الــغــرور[2]

---

(١) العقد الفريد ١/٣١٢. والأيكة، واحدة الأيك، الشجر المعروف. والعبرة: الدمعة.

(٢) المصدر نفسه ١/٣٢٤. والباطية: زجاجة الخمر. والزير: وتر العود.

(طويت زماني برهة وطواني)

ومن جيد شعره الزهدي وقد أشرف على الموت، يقول ابن عبد ربه:

كِلانِي لِما بي عاذِلَيَّ كَفاني
طَوَيْتُ زماني برهةً وطَواني
بليتُ وأبليْتُ اللّيالِيَ مُكْرَهاً
وَصَرْفانِ لِلأيّامِ مُعْتَورانِي
ومالِيَ لا أَبْلى لِسبعينَ حجَّةً
وعشرٍ أَتَتْ مِن بعدِها سَنَتانِ
وإنّي بِعونِ اللَّهِ راجٍ لفِضلِهِ
ولي مِن ضمانِ اللَّهِ خيرُ ضمانِ
ولستُ أُبالي مِن تباريحِ علّتي
إذا كانَ عقلي باقياً ولِساني[1]

* * *

(يا ربِّ غفرانك)

ومن قول ابن عبد ربه في التوبة والزهد والاعتراف بالذنب:

يا وَيْلَنا مِن موقفٍ ما بهِ
أخوفُ مِنْ أنْ يعدلُ الحاكمُ

---

(١) تاريخ الآداب العربية ٢/١٣٤. والصرفان: الليل والنهار. واعتوراني: تداولاني والتباريح: الآلام. وكلاني: أتركاني.

أبــا رزُ الــلَّهَ بِــعــصــيــانِــه
ولــيسَ لــي مــن دونِــه راحــمُ
يــا ربِّ غُــفْــرانَــكَ عـن مــذنــبٍ
أســرفَ إلاّ أنَّــه نــادمُ(١)

* * *

ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١ هـ/ ٨٩٤ م)

ومن الشعر الزهدي القائم على أساس روح التوكل في الرزق على الله يقول عبد الله بن محمد، المعروف بابن أبي الدنيا:

ومَـنْ ظنَّ أن الــرزق يــأتي بحيــلة
فـقــد كــذّبتْــهُ نـفسُــهُ وهــو آثِـم
يَفـوتُ الغِنى من لا يَنامُ عن السّرى
وآخــرٌ يــأتــي رزقَــهُ وهــو نــائِــم
ســأصْبِــرُ إن دهــرٌ أنــاخَ بكـلكــلٍ
وأرضَى بحكمِ اللّهِ فــاللّهُ حــاكم(٢)

* * *

(١) العقد الفريد ١/٣١٨.
(٢) بهجة المجالس ١/١٣٨.

البحتري (ت ٢٨٤ هـ/ ٨٩٧ م)

(ولا مزرٍ بحظّي تأخّري)

ومن أشعار الزهد والقناعة التي طلع بها علينا أبو عبادة البحتري، قوله:

قنعْتُ وجانبْتُ المطالعَ لابساً
لباسَ محبٍّ لِلنّزاهةِ مُؤْثرِ
وآنسني علمي بأنْ لا تقدُّمي
مفيدي ولا مُزْرٍ بحظّي تأخُّري
ولوْ فاتني المقدورُ مِمّا أريدُه
بِسَعْيٍ لأدركْتُ الّذي لم يُقدَّرِ[1]

* * *

بشر الحافي (ت ٢٢٠ هـ)

(فاستغنِ بالله)

من أشهر الزهاد الأتقياء، والصلحاء النجباء أبو نصر بشر بن الحارث الحافي، المروزي الأصل، البغدادي النشأة، وشعره يتضمن آراء وأفكاراً تدعو إلى الاستغناء بالله، والاكتفاء بالقليل

(١) معادن الجواهر ونزهة الخواطر ص ٤١٤.

القليل من المتاع، فإن متاع الدنيا قليل في الآخرة. يقول بشر مزهّداً:

أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ لَرَضْخُ النَّوى
وشُربُ ماءِ الأعيُنِ المالِحَةْ
أعزُّ لِلإنسانِ مِن حرصِهِ
ومِن سؤالِ الأوجهِ الكالحةْ
فَاسْتَغْنِ بِاللَّهِ تكُنْ ذا غِنى
مغتبطاً بالصَّفْقَةِ الرّابِحة
مَنْ كانتِ الدُّنيا بِهِ بَرَّةً
فإنّها يوماً لهُ ذابحة(١)

* * *

(فلست أسلك إلا أوضح الطرق)

ويقول مؤكداً على وجوب الأخذ بالقناعة والكفاف:

قالوا قنعْتَ بِذا قلتُ القنوعُ غِنى
ليسَ الْغِنى كثرةَ الأموالِ والْوَرِقِ
رضيتُ باللَّهِ في عُسْري وفي يُسري
فلستُ أسلكُ إلاّ أوضحَ الطُّرُقِ(٢)

(١) تهذيب ابن عساكر ٣/٢٣٧. ورضح: كسر ودقّ. والكالحة: العابسة. وبرّة: وفيه.

(٢) شعر الزهد، ص ١٠٠.

(ولا عز أعز من القناعة)

وفي المعنى ذاته يقول بشر:

أفـادتْـنـي الـقـنـاعـةُ أيَّ عِـزٍّ
ولا عـزٌّ أعـزُّ مِـنَ الْـقـنـاعَـةْ
فَـخُـذْ منهـا لِنفسِـكَ رأسَ مـالٍ
وصَيِّـرْ بعـدَهـا التّقـوى بضـاعَـةْ[1]

ومن أجود شعر بشر في الزهد قوله:

ومِن عجبِ الـدّنيـا تُبَقّيـكَ لِلْبـلى
وأنـكَ فـيـهـا لِـلبـقـاءِ مـريـدُ
وأيُّ بـنـي الأيـامِ إلاّ وعـنـده
مـنَ الـدهـرِ ذنـبٌ طـارفٌ وتـليـدُ
ومـنْ يـأمنِ الأيـامَ أمـا اتّسـاعهـا
فـخـطرٌ وأمـا فـجـعُـهـا فـعـتـيـدُ
إذا اعتادتِ النفسُ الرّضاعَ عنِ الهوى
فـإنَّ فـطامَ النفسِ عنـه شـديـدُ[2]

* * *

---

(١) نفسه ص ١٠١.

(٢) الأغاني ١٢/١٣٩.



تخلّيْتُ عنْ دنياي إلاّ ثلاثةً
دفاترَ مِن علمٍ وبيتاً ومسْجِدا
غنِيتُ بها عنْ كلِّ شيءٍ حويْتُهُ
وكنتُ بها أغني وأقنى وأسْعدا
وكم قدْ رأيْنا مِن عزيزٍ مشرّفٍ
يبيتُ مُقِّراً بالضّلالةِ مُجْهَدا
فَجَتْهُ الْمنايا وهْو في حينِ غَفْلَةٍ
فأضْحى ذليلاً في التّرابِ مُوَسَّدا(١)

* * *

(وحبّست نفسي بين بيتي ومسجدي)

ولعل في هذين البيتين التاليين ما يؤكد المعنى السابق خير تأكيد، فيقول:

وأصبحْتُ في ما كنتُ أبغي مِنَ الْغِنى
إلى الزُّهدِ في الدُّنيا الدَّنِيّةِ أحْوَجا
وحَبَّسْتُ نفسي بينَ بيتي ومسجِدي
وقد صرْتُ مثلَ النَّسْرِ أهوى التعرّجا(٢)

(١) نفسه ٩٥. وفجته: أصلها: فجأته، بحذف الهمز. وأقنى: أكثر قنية وغنى.
(٢) نفسه ص ٩٦.

(فليس بما لك منه نقيرا)

وزيادة في التأكيد على الزهد بالحياة، يورد الشاعر قوله:

وكَمْ مِنْ طالبٍ لِلمالِ يَسْعى
ويركَبُ في مطالبهِ البُحورا
فعادَ يودُّ أنْ لوْ كانَ أمسى
فليسَ بِمالكٍ منهُ نقيرا(١)

* * *

كشاجم (ت ٣٥٠ هـ/ ٩٦١ م)

(والنار قد يطفئها النافخ)

ومن ألطف معاني الزهد، ما قاله كشاجم، وهو لقبه، واسمه أبو الفتح محمود بن الحسين الكاتب، أحد أبرع شعراء الوصف في العصر العباسي الثاني. يقول كشاجم:

ومستزيد في طِلابِ الْغِنى
يجمعُ لَحْماً ما لَهُ طابخُ
ضيّعَ أموالاً بما يرتجي
والنّارُ قد يُطْفِئُها النّافِخُ(٢)

---

(١) نفسه ص ٩٦. والنقير: نكتة صغيرة في النواة، وهي كناية عن أحقر الأشياء.

(٢) محاضرات الأدباء ٢/٥١٩.

(فما سؤلنا إلاّ المودة من أجر)

ومن الشعر الزهدي ما قاله حرب بن المنذر بن الجارود، وهو التالي:

فَحَسْبي مِنَ الدُّنيا كفافٌ يُقيمُني
وأثوابُ كتّانٍ أزورُ بها قَبْري
وحُبّي ذَوِي قُرْبى النبيِّ محمَّدٍ
فما سُؤْلُنا إلاّ المودّةُ مِنْ أجر[1]

* * *

(واحسرتي)

ومن أرق شعر الزهد وأبلغه قول بعضهم:

واحسرتي في يوم يجمعُ شرّتي كَفَنٌ وَلَحدُ
ضيّعتُ ما لا بُدّ منه بالذي لي منهُ بُدُّ[2]

* * *

(١) البيان والتبيين ٣/٥٥٣. والبيت الثاني مصداق للآية الكريمة: «قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى».

(٢) رسالة الغفران ص ٤١. والشرّة: الحدّة.

(ففيم التزاحم في المركز)

ومن نادر الشعر الزهدي، وألطفه إشارة، وأعمقه معنى، ما قاله الفيلسوف الإسلامي أبو النصر محمد بن طرخان الفارابي، ويظهر فيه أثر الرياضة والفلسفة واضحاً. يقول الفارابي:

أخــي خَــلِّ حَــيِّــزَ ذي بــاطــلٍ
وكُــنْ لِــلحــقــائــقِ فــي حَــيِّــز
فــمــا الــدّارُ دار خــلــودٍ لَــنــا
ولا المــرءُ في الأرضِ بِــالْــمُــعْــجِــز
وهــل نــحــنُ إلّا خــطوطٌ وقــعْــنَ
عــلى كُــرَةٍ وَقْــعَ مــســتــوفــزِ
يــنــافسُ هــذا لِــذاكَ عــلى
أقــلَّ مِــنَ الــكَــلِم الــمــوجــزِ
مــحــيطُ الــســمــواتِ أَوْلــى بِــنــا
فــفيمَ الــتّــزاحــمُ فــي الــمــركَــزِ[1]

* * *

(١) عيون الأنباء، لابن أبي أصيبعة ص ٦٠٨. والحيز: المكان. والمستوفز: المتهيء للقيام.

(مهلاً فما اللذات إلا خدع)

ومن ألطف أشعار الزهد والوعظ، ما قاله أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، وهو المشهور في مباحث الفقه والتفسير والأدب، يقول أبو الفرج واعظاً:

يا نادباً أطلالَ كلِّ نادي
وباكياً في إثْرِ كلِّ حادي
مستلَبَ القلبِ بِحُبِّ غادةٍ
غدتْ فإنَّ البيْنَ بالفؤادِ
مهلاً فما اللَّذّاتُ إلاّ خُدَعُ
كأنَّها طيفُ خيالٍ غادي[1]

* * *

(يا ساكن الدنيا تأهب)

ومن أفضل شعره الزهدي، قوله:

يا ساكن الدّنيا تأهَّبْ
وَانْتظرْ يومَ الفراقِ

(١) الذيل على طبقات الحنابلة، لابن رجب ١/٤٢٥. القاهرة ١٩٥٢ م والبين: الفراق. والغادي: السائر صبحاً.

وأعــدَّ زاداً لـلرّحـيـلِ
فـسـوفَ يُـحـدى بـالـرّفـاقِ
وَابْـكِ الـرّبـوعَ بـأدمـعٍ
تـنـهـلُّ مِـنْ سُـحُـبِ الأمـاقِ
يـا مَـنْ أضـاعَ زمـانَـهُ
أرضِـيـتَ مـا يَـفـنـى بِـبـاقِ[1]

* * *

ابن أبي زندقة (ت ٥٢٠ هـ/ ١١٢٦ م)

(إنها ليست لحيّ وطنا)

ومن الشعر الذي يعبر فيه أبـو بكر محمـد الطرطـوشي، المعروف بابن أبي زندقة الأندلسي، عن زهده بالحياة الدنيا، والدعوة إلى العمل الصالح، قوله، وهو يتميز بالسهولة:

إنَّ لِـلَّـهِ عـبـاداً فُـطُـنـاً
طَلَّقـوا الـدُّنيـا وخـافـوا الفِتَنَـا
فَكَّـروا فـيـهـا فـلمّـا عـلمـوا
أنّـهـا لـيـسـتْ لِـحَـيّ وطـنـا

(١) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، لسبط بن الجوزي ١/٤٤. مخطوطة الأزهر رقم ٦٧٦٥. ويحدى: يغنّي لهم حداء. والأماق: محاجر العيون. جمع مؤقة.

جـعـلوهـا لُـجّـةً واتّـخـذوا
صالحَ الأعمالِ فيها سُفُنا[1]

* * *

ابن جبير (ت ٦١٤ هـ/ ١٢١٧ م)

(فما يقبل اليوم منك اعتذار)

ومن الشعر الذي يندرج في دائرة الزهد، أو ما يشبه الزهد، ما قاله الرحالة الأندلسي الشهير، محمد بن أحمد بن جبير:

خلقْتَ العذارَ بِشيْبِ العذارِ
فما يُقبلُ اليومَ منكَ اعتذارْ
وقالوا المشيبُ وقارُ الفتى
وهذا المشيبُ فأينَ الوقار
جلا صبحُه عنكَ ليلَ الشّبابِ
فشمسُكَ مُؤْذِنَةٌ بِاصْفِرار
أراكَ صحبْتَ حياةَ الغرورِ
وتسحبُ جهلاً ذيولَ اغْترار
ألستَ ترى كدراً صفوَها
ونجمكَ قد مالَ يبغي انْكدار

(١) تاريخ الآداب العربية ٢/ ١٦٩. وفطن: أذكياء واللجّة: معظم الماء.

وكـيـف تـنـامُ عـلى غـرّةٍ
وسيفُ المنيّةِ ماضي الغِرار
فلو كنتَ تحذرُ صرفَ الرّدى
إذاً لَنفى النّومَ عنكَ الحِذار
عبرتَ مراحلَ عمرِ الأشدِّ
ولستَ أرى لك فيها اعتبار
وجرتَ بها عن طريقِ الهدى
صلاةً وتعدو على أنْ تُجار
أتاكَ الرّحيلُ فشمِّرْ لهُ
فإمّا إلى جَنَّةٍ أو لِنار
وكيف تقرُّ بِدنياكَ عيناً
ولم تدرِ أينَ يكونُ القرار(١)

* * *

(وما الدنيا لساكنها بدار)

ولابن جبير، هذان البيتان الرائعان من الشعر الزهدي:

أراكَ مِنَ الْحياةِ على اغترارِ
ومالكَ بالإنابةِ مِن بدارِ

(١) مجلة معهد المخطوطات العربية ص ٢١٢. ج ١. مجلد ٢٩. ١٩٨٥ م.
والعذار: جانب اللحية. وخلع عذاره: إبهمك في الغيّ، والغرة: الغفلة.
والغرار: القالب يضرب عليه النّصال.

وتــطمــعُ فـي البـقــاءِ وكيـفَ تبقى
ومــا الـدّنيـا لِســاكِنهـا بِــدارِ[1]

* * *

(وما يرجى لتوبته قبول)

وله أيضاً:

يُـنـيــلُ الــمــرءَ تبـصــرةً وذكــرى
إذا مــا ابْـيضَّ فَـوْداه وشــابــا
ومــا يُــرجـى لِـتـوبـتـهِ قـبـولُ
إذا مــزجَ الــرِّيــاءَ بـهــا وتــابــا[2]

* * *

ابن مطروح (ت ٦٤٩ هـ/ ١٢٥١ م)

(فأنت يا مولاي أولى به)

من نـادر شعر الـزهد في الحيـاة، والتـوبـة من الـذنب، والتضرع إلى الله والتورع عن المحارم، ما قاله أبو الحسـن يحيـى بن عيسى، المعروف بابن مطروح، وكان ملازماً لملوك

(١) المرجع نفسه ص ٢١٣. والبدار: الإسراع.
(٢) المرجع نفسه ص ٢١١. والفودان، مثنى فود، وهو جانب الرأس مما يلي الأذن.

بني أيوب في مصر والشام. يقول ابن مطروح، مناجياً ربه، تائباً إليه، وهو من أسهل الشعر وأبينه:

يـا أيُّهـا الشّـامـخُ فـي قُـرْبِـهِ
يـا أيُّهـا الـظاهـرُ في حُـجْـبِـهِ
بِـالْـبـابِ كـلـبٌ وجِـلٌ خـائـفٌ
مِـن طـولِ مـا أسلفَ مِـن ذنـبِـه
جـاءكَ يـسـتـغـفر مـا قـد جنـى
مُـلْقـىً مِـنَ الـذُّلِّ عـلى جـنـبِـهِ
وهْـو مـعَ الخـوفِ شـديـدُ الرّجـا
فـأنـتَ يـا مـولايَ أَوْلـى بـهِ
مُـنَـكّسٌ مِـنْ خَـجَـلٍ رأسَـهُ
بـاسطُ خـدَّيْـهِ عـلى تُـرْبِـه
فـهـلْ لـهُ غـيـرُكَ مِـن راحـمٍ
هـل يـرحـمُ الـكـلبَ سـوى ربِّـه
وهـل لـه فـيـكَ طُـمَـأنـيـنـةٌ
تـدخـلُ بـالأمـنِ عـلى قـلبِـهِ[1]

* * *

(١) ديوان ابن مطروح ص ١٢١. مطبعة الجوانب. القسطنطينية ١٢٩٨ هـ.

(وكل الذي دون الممات قليل)

ومن أروع ما قيل في الزهد والحكمة، ما قاله بعضهم :

لِكُلِّ اجتماعٍ مِنْ خليليْنِ فرقةٌ
وكلُّ الذي دونَ المماتِ قليلُ
وإنَّ افْتقادي واحداً بعدَ واحدٍ
دليلٌ على أنْ لا يدوم خليلُ[1]

* * *

(والفوز فوز الذي ينجو من النار)

ومن بديع الشعر قول بعضهم في التوبة والزهد :

إنَّ الشَّقِيَّ الَّذي في النَّارِ منزلُهُ
والفوزُ فوزُ الذي يَنْجو مِنَ النَّارِ
يا ربِّ أسرفْتُ في ذنبي ومعصيتي
وقد علمْتُ يقيناً سوءَ آثاري
فاغفرْ ذنوباً إلٰهي قد أحطْتَ بِها
ربَّ العبادِ وزَحْزِحْني عنِ النَّارِ[2]

---

(١) البيان والتبيين ٣/٤٧٧ .

(٢) المحاسن والأضداد ص ١٠٣ ـ ١٠٤ .

الباب الثالث

في ما بعد العصر العباسي

ابن الثَّردة (ت ٧٥٠ هـ/ ١٣٤٩ م)

(يا أيها النائم)

ومن أعجب أخبار علي بن إبراهيم المعروف بابن الثردة الواعظ بمسجد دمشق في القرن الثامن الهجري، أنه كان يتخذ كارة، أي صرّة، يحملها تحت إبطه فلا تفارقه ليلاً ولا نهاراً، وكانت تضمّ ما قاله من قصائد وموشحات في الغزل والوعظ والزهد، وإن منها هذه الأبيات الموشحة الزهدية:

يا أيُّها النائمُ كَمْ هذا الرُّقادْ
إنْتَبِهْ كَمْ نَوْمْ
انتبهْ مِن ذا الكرى يا ذا الجمادْ
تلحقْ بِالْقومْ
وتأهّبْ لِغَدٍ يوم المعادْ
يا لَهُ مِنْ يَوْمْ

وَافْعَلِ الْخيرَ لِتحظى بالنّجاحْ
لا تـكُـنْ كـسـلانْ
واجتهدْ فالمجتهدْ يلقى الفلاحْ
وَيَـرى الإحـسـانْ
قد تقضّى العمرُ دَعْ لَهْوَ الصِّبا
أيُّـهـا الـغـافـلْ
لا تكنْ مِمَّنْ إلى الجهلِ صَبا
تَـعِسَ الـجـاهـلْ
كـلُّ شيءٍ تهبُ الـدّنيـا هُبـا
لـيسَ بِـالـطّائـلْ
كم حريصٍ خلّفَ الدّنيا وراحْ
لابسَ الأكـفـانْ
وأخـو الفقرِ تُـوُفِّي فَاسْتـراحْ
قـلبُـه الـتّـعـبـانْ(١)

* * *

(١) تاريخ الآداب العربية ٢/٢٠٥ ـ ٢٠٦. وهبا: مقصور هباء، وهو الغبار، ويوم المعاد: يوم القيامة. والكرى: النوم.

عمر الأنسي (ت ١٢٩٣ هـ/ ١٨٧٦ م)

(رغبت عن الدنيا)

ومن شعر عمر بن محمد الإنسي، الأديب والشاعر اللبناني، قوله في الزهد:

رغبْتُ عنِ الدُّنْيا وزخرفِ أهلِها
وقلتُ لِنفسي إنّما العيشُ في الأُخْرى
فَدَعْني وزُهْدِيَ في الْحطامِ فإنّني
أرى الزّهدَ في الدّنيا هو الراحةُ الكبرى[1]

* * *

الحسن بن الهبل (ت ١٠٧٩ هـ)

(وإنما الآخرة المنزل)

وللحسن بن علي بن جابر الهبل اليمني، الذي اشتغل بالعلوم والآداب، شعر رائع في وصف الدنيا، يميل فيه إلى الزهد والوعظ والتأمل والمناجاة، يقول الحسن بن الهبل)

أينَ اسْتَقَرَّ السّفرُ الأوّلُ
عمّا قريبٍ بهمْ ننزلُ

(١) المرجع نفسه ٢/٣٢٨. والحطام: يريد به حطام الدنيا وزينتها.

مَرُّوا سراعاً نحوَ دارِ الْبَقا
ونحنُ في آثارِهم نرحلُ
ما هذهِ الدُّنيا لنا منزلاً
وإنّما الآخرةُ المنزلُ
قد حذّرتْنا مِن تصاريفها
لوْ أنّنا نسمعُ أو نعقل
يُطيلُ فيها المرءُ آمالَهُ
والموتُ مِن دونِ الذي يأمل
يحلو له ما مرَّ مِن عيشِها
ودونَه لو عقلَ الحنظلُ
ألْهَتْهُ عن طاعةِ خلاّقه
واللّهُ لا يلهو ولا يغفل
يا صاحِ ما لذّةُ العيشِ بها
والموتُ ما تدري متى ينزل
يدعو ليَ الأحبابُ مِن بينِنا
يُجيبُه الأوّلُ فالأوّل
يا جاهلاً يجهدُ في كسبِها
أغرّكَ المشربُ والمأكل
ويا أخا الحرصِ على جمعِها
مهلاً فَعَنْها في غدٍ تُسأل

لا تــتعــبَنْ فــيهــا ولا تــأســفَــنْ
لِــمــا مــضــى فالأمــرُ مــســتقــبل
مــا قــولُنــا بيــنَ يــديْ حــاكمٍ
يــعــدلُ في الــحــكــمِ ولا يــعــزل
مــا قــولُنــا لِــلَّهِ فــي مــوقــفٍ
يــخــرسُ فيــه الــمِصْــقَــعُ المِقْــوَل
وإنْ سُئِــلْنــا فــيــه عــن كــلِّ مــا
نــقــولُ فــي الــدنــيــا ومــا نــفــعــل
مــا الــفــوزُ لِلعــالــمِ فــي عــلمِــه
وإنّــمــا الــفــوزُ لِــمَــنْ يَــعــمــلُ[1]

* * *

(رويدك من كسب الذنوب)

وله أيضاً:

رَوَيْــدَكَ مِن كسبِ الــذّنــوبِ فــأنتَ لا
تــطيقُ على نــارِ الجحيمِ ولا تَقْــوى

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للمحبّي ٣١/٢. مكتبة خياط. بيروت والسفر: جماعة المسافرين. وتصاريف الدنيا: حوادثها. والحنظل؛ نبات مرّ والمصقع المقول: الخطيب البارع في القول والخطابة.

أتـرضى بـأنْ تَلْقى المهيمنَ في غــدٍ
وأنتَ بِـلا علمٍ لَـدَيْـكَ ولا تقـوى(١)

* * *

ابن عطيف (ت ١٠٨٩ هـ)

(وما يعنيك لا تهدم مشاده)

ومن الشعر الوعظي الزهدي المسمى بنظم التلقين، ما قاله حسن بن موسى المعروف بابن عطيف الـدمشقي. يقول ابن عطيف:

تَـتَبَّـعْ يـا فـتـىً طُـرُقَ الـسّعـادةْ
فـتـلكَ إذا وصـلْتَ هـي الــسّعــادةْ
وجَنِّبْ نـفسَـكَ الـشُّبُـهـاتِ وَاصْبِـرْ
وفي مـا حـلَّ فَـالْـزمهـا الـزّهـادة
وحـــبَّ الـلَّهِ آثــرْهُ وأحــسِــنْ
وقـمْ بِـالـواجبـاتِ مِـنَ الْـعـبــادة
وعـظِّم أمــرَهُ تــعـظيـمَ عــبـدٍ
تَــيَــقَّــنَ رحــلةً فــأعــدَّ زاده

---

(١) المصـدر نفسه ٢/٣٣. والمهيمن: اسم من أسماء الله تعالى، ويعني القوي المسيطر.

ولا تـفـرحْ بـمـا أُوتـيـتَ وَانْـدم
على التّـفـريطِ عن طلبِ السعـاده
تـجـنّـبْ مـا نـهـاكَ الـلّهُ عـنـه
ومـا يَعنـيـكَ لا تـهـدمْ مُـشـاده
تصـوَّرْ بعـدَ مـوتِـكَ مـا تُـلاقي
فـبـديُ الأمـرِ تـمـكـنُـه الإعـادة
وجـنِّبْ نـفسَـكَ الـدُّنـيـا فمنْ لـم
يُـحـاذرْهـا فـقـد مـلكتْ قـيـادة
ومـهـمـا آذنَـتْ بِـصـلاحِ أمـرٍ
تـراه صـالـحـاً فَـاحْـذرْ فـسـاده
وَرَجِّ الـخـيـرَ فـي الأحـوالِ إلّا
لِـذي ذنـبٍ فـخـفْ وَاقْـدَحْ زنـاده
ومـهـمـا أمـكـنـتْـكَ خـصـالُ خـيـرٍ
فـآثِـرْهـا تـفـزْ وحُـزِ الإجـادة(١)

* * *

محمد الكواكبي (ت ١٠٩٦ هـ)

(حتّام في ليل الهموم)

ومن الشعر الزهدي الداعي إلى الإنابة لله، والتضرع إليه،

(١) خلاصة الأثر ٢/٦٨.

قول محمد بن حسن الكواكبي، الحلبي، وكان مفتياً، وفقيهاً وشاعراً:

حَتّامَ في لَيْلِ الهمومِ
زنادَ فكرِكَ تَقْتَدِحْ
قلبٌ تحرَّقَ بالأَسَى
ودموعُ عينٍ تنسفِحْ
إرفقْ بنفسِكَ واعتصمْ
بِحِمى المهيمنِ تنشرحْ
وَاضْرعْ له إنْ ضاقَ
عنكَ خناقُ حالِكَ تنفسح
ما أَمَّ ساحةَ جودِهِ
ذو محنةٍ إلاّ مُنِح
أو جاءَه ذو المعضلاتِ
بِمُغْلَقٍ إلاّ فُتِحَ
فدعِ الْهوى وَانْهج على
نهجِ السَّوِيِّ المتَّضِح
وَاسْمَعْ مقالةَ ناصحٍ
إنْ كنتَ مِمَّنْ ينتصح
ما تمَّ إلاَّ ما يريدُ
فدعْ مرادَكَ وَاطَّرِح

وَاتْرُكْ وساوسَكَ التي
شغلَتْ فؤادَكَ تسترحْ[1]

* * *

إسماعيل صبري (ت ١٣٤١ هـ/ ١٩٢٣ م)

(يا عالم الأسرار)

ومن الشعر الوجداني الزهدي القائم على الرجاء واستعطاف العزّة الإلٰهية، ما قاله إسماعيل صبري باشا، الأديب والشاعر المصري. يقول إسماعيل مناجياً ربّه، ومتسائلاً ومستعطفاً:

يا ربِّ أينَ ترى تُقامُ جهنّمُ
لِلظّالمينَ غداً ولِلأشرارِ
لم يُبْقِ عفوُكَ في السّمواتِ العُلى
والأرضِ شبراً خالياً لِلنّار
يا ربِّ أَهِّلْني لِفضلِكَ واكفني
شَطَطَ العقولِ وفتنةَ الأفكار
وَمُرِ الْوجودَ يشفَّ عنكَ لِكيْ أرى
غضبَ اللّطيفِ ورحمةَ الجبّار

(١) خلاصة الأثر، للمحبي ٣/٤٣٨ ـ ٤٣٩.

يـا عـالمَ الأسـرارِ حَسْبي مـحنـةً
عـلمـي بـأنّـكَ عـالـمُ الأسـرار
أَخْلِقْ بِـرحمتِـكَ الّتي تسـعُ الـورى
أنْ لا تـضيـقَ بـأعـظمِ الأوزارِ(١)

* * *

رشيد عطاالله (ت ١٣٤١ هـ/ ١٩٢٣ م)

(إنما الأكدار فيها شبه نوّ)

ومن الشعر الذي نظمه في صدر حياته في الزهـد وغرور الدنيا، رشيد يوسف عطاالله الأديب والشـاعر اللبناني، قوله من أبيات على رويّ الواو الساكنة:

عـاشقَ الـدّنيـا إلـى مـا أنتَ غـوّ
قـلب أيّ ودّهـا ولـم يُـدَوّ
قـد ظننتَ ماءَهـا يَـرْوي الـظّمـا
أتـرومُ الـرّيَّ والإنـاءُ ضَـوّ
كـلُّ خـيـرِ نـازحٌ عـنـهـا ألا
إنّـمـا الأكـدارُ فـيـهـا شـبـهُ نَـوّ

---

(١) تاريخ الآداب العربية ٢/٣٤٦. والأوزار: الذنوب، جمع وزر. ويشف: يرق ويظهر. والشطط: تجاوز الحدّ.

فـبِجـامِ الـرّاحِ تَـسْقيـكَ الـرّدى
وكـأيٍّ جـدحَـتْ سـمّـاً بِـخَـوّ
واذّكِـرْ فـي أربـعٍ لا تـنـسَـهـا
إنَّ ذِكـراهـا لِـنـورِ الـلَّهِ كَـوّ
مـوتُ جـسـمٍ عـاجـلاً أو آجـلاً
ديـنُ نـفسٍ ثـم دارُ الْـخُـلْدِ أوْ(١)

* * *

حمزة الملك (القرن العشرون م)

(مولاي قد نامت عيون)

من أرق شعر التأمل في الوجود والزهد بالحياة، ما قاله حمزة الملك طنبل، الشاعر السوداني المعاصر، والرومنتيكي النزعة، من قصيدة يناجي فيها ربّه وأسماها: جوف الليل. يقول حمزة الملك:

مـولايَ قـد نـامـتْ عـيـونْ
وتـيـقّـظتْ أيـضـاً عـيـونْ

(١) نفسه ٢/٣٩٨. والغو: مخفف غوٍ، وهو الفصيل المهزول، كناية عن اللهو ودوّى. سار في الدو، وهي الفلاة. والصو: الفارغ، مخفف صوٍ والنو: المطر. وجدحت: خلطت. والخو: العسل. وهووها. عشقوها. وهووًا. سقطوا وماتوا. والكو: النافذة، مخفف كوّة.

نــامــت عــيــونُ الــخــائــنــيــنَ
وعــيــنُ نــجــمــكَ لا تــخــونْ
تــرنــو إلــيــنــا وهــي ســاهــيــةٌ
عــنِ الــدّنــيــا الــخــؤونْ
أتــراه أذهــلَهــا جــلالُ
الــلَّهِ أم مَــرُّ الــقــرونْ
أم أنَّ مَــن فــوقَ الــثّــرى
لا يــســمــعــونَ ولا يــعــونْ
يــا ويــحَ نفسيَ وهي تــرسفُ في سجــونْ
آمنتُ أنَّ الفردَ فوقَ الأرضِ أحقرُ ما يكونْ
مولايَ لو خَيَّرْتني لَاخْتَرْتُ أنّي لا أكونْ(١)

* * *

التيجاني البشير (القرن العشرون م)

(الوجود الحق ما أوسع في النفس مداه)

وقريب من الشعر الآنف الذكر، ما يقوله معاصره التيجاني يوسف بشير، وهو الذي تأمل الوجود، وأشرف على تجلّيات الله تعالى في الكون والكائنات، يقول من أبيات له :

---

(١) تاريخ الآداب العربية ٢/٤٢٧ .

كلُّ ما في الكونِ يمشي في حنايـاهُ الإلٰهْ
هــذهِ النّمـلةُ في رِقَّـتِهـا رَجْـعُ صَـداهْ
هـو يحيـا في حـواشيهـا وتحيـا في ثـراه
هـي إنْ أسلمـتِ الـرُّوحَ تلقَّـتْهـا يـداه
لم تمتْ فيهـا حيـاةُ اللَّهِ إنْ كنتَ تـراه
الوجودُ الحقُّ مـا أوسعَ في النّفسِ مداه
والسّكونُ المحْضُ ما أوثقَ بِالرّوحِ عُـراه
كلُّ ما في الكونِ يمشي في حَنايـاهُ الإلٰه
هــذه النمـلةُ في رقـتِهـا رجْـعُ صـداه
هـو يحيـا في حـواشيهـا وتحيـا في ثـراه
وَهْيَ إنْ أسلمـتِ الـرّوحَ تلقّـتْهـا يـداه
لم تمتْ فيهـا حيـاةُ اللَّهِ إنْ كنتَ تـراهْ[1]

---

(١) نفسه ٢/٤٢٨.



ثبت المصادر والمراجع

- أخبار الشعراء للصولي، جمع وتحقيق هـوارت دن. بغداد وبيروت.
- الإعجاز والإيجاز للثعالبي، دار صعب. بيروت.
- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ط بولاق وط دار الكتب.
- بهجة المجالس للقرطبي، تحقيق محمد مرسي الخولي دار الكتاب العربي، بيروت.
- البيان والتبيين للجاحظ، دار صعب، بيروت ١٩٦٨ م.
- تاريخ الآداب العربية لرشيد يـوسف عطا الله، تحقيق علي عطوي، ط ١. دار عز الدين، بيروت ١٩٨٥ م.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصفهاني دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٧ م.
- حميد ثور: حياته وشعره. لرضوان النجار، رسالة ماجستير ١٩٧٨ م.
- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبّي، مكتبة خياط بيروت.

- ديوان ابن الرومي، دار صادر - دار بيروت ١٩٦٥ م.
- ديوان ابن مطروح، مطبعة الجوائب. القسنطينية ١٢٩٨ هـ.
- ديوان ابن المعتز، مطبعة المحروسة بمصر ١٨٩١ م. نشر دار بيروت ١٩٦١ م.
- ديوان أبي تمام، شرح التبريزي تحقيق محمد عزام دار المعارف بمصر ١٩٦٥ م.
- ديوان أبي العتاهية، دار صادر. دار بيروت ١٩٦٥ م.
- ديوان أبي نواس تحقيق أحمد الغزالي، دار الكتاب العربي. بيروت.
- ديوان الإمام علي بن أبي طالب، المطبعة العلمية، القاهرة، طبعة منقحة ١٣١٩ هـ.
- ديوان بشار بن برد، شرح محمد الطاهر بن عاشور مطبعة لجنة التأليف والترجمة. تونس ١٩٥٧ م.
- ديوان الحماسة لأبي تمام، شرح التبريزي ط ١. دار القلم. بيروت.
- ديوان سقط الزند لأبي العلاء المعري. شرح نزار رضا. دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٥ م.
- ديوان الشافعي تحقيق زهدي يكن دار الثقافة بيروت ١٩٦١ م.
- ديوان لبيد بن ربيعة، تحقيق إحسان عباس. ط الكويت ١٩٦٢ م.

- الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب تحقيق محمد خان الفقي. مطبعة السنّة المحمدية القاهرة ١٩٥٢ م.
- رسالة الغفران لأبي العلاء المعري دار صعب بيروت ١٩٦٨ م.
- زهر الآداب وثمر الألباب للحصري أ ـ تحقيق علي البجاوي. ط ١. دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٣ م.
ب ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. ط ٤. دار الجيل. بيروت ١٩٧٢ م.
- شعر الزهد في القرنين الثاني والثالث للهجرة، لعلي عطوي. ط ١. المكتب الإسلامي. بيروت ١٩٨١ م.
- الشعر والشعراء لابن قتيبة. تحقيق أحمد محمد شاكر.
- العقد الفريد لابن عبد ربه أ ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة ١٩٦٥ م.
ب ـ وشرح خليل شرف الدين. دار ومكتبة الهلال. بيروت.
- عيون الأخبار لابن قتيبة. المؤسسة المصرية للطباعة والنشر.
- الكامل في اللغة والأدب للمبرد مكتبة المعارف. بيروت.
- مجلة معهد المخطوطات العربية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكويت ١٩٨٤ ـ ١٩٨٥ م.
- المحاسن والأضداد للجاحظ، دار صعب، بيروت ١٩٦٩ م.
- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، للراغب

الأصبهاني، دار مكتبة الحياة. بيروت ١٩٦١ م.
- المستطرف من كل فن مستظرف للأبشيهي دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣ م.
- معادن الجواهر ونزهة الخواطر للسيد محسن الأمين بيروت ١٤٠١ هـ.

الفهرس

الباب الثالث

مطابع يوسف بيضون
بيروت - هاتف: ٨٣٧٦٦٧ - ٨٣٧٤٤٩ - ٤٦٠٧٤٣



هذا الكتاب، وهو واحد من بضعة كتب يتناول كل منها غرضاً من أغراض الشعر الغنائي، يرمي إلى اطلاع القاريء على أروع ما جادت به قرائح الشعراء العرب في الزهد، على امتداد أعصر الأدب العربي. ولئن كان من أهم ما يعلق بالذهن من معاني الزهد، الرغبة عن الشيء، وعدم الحرص عليه، والقناعة، والاكتفاء بالحاجة، والرضى بالقليل، فإن ثمة معاني أخرى قد لا تقل أهمية عن الأولى، وهي طبعت شعر الزهد بطابعها المميز فدفعت به قدماً إلى الأمام، وبوأته مكانة عالية في الشعر العربي، عنينا الكفّ عن المحارم، والتوبة النصوح إلى الله، والتضرع إليه، ونهي النفس عن الهوى.. وفي جميع الأحوال فإن الغاية من هذا الكتاب، وكما ألمعنا من قبل، هي اطلاع القارىء على أروع ما قيل في الزهد، مما يهذّب النفس، ويزيدها رقة وشفافية وصفاء، هذا فضلاً عما يرضي الذوق، ويثير الإحساس بروعة الأداء الشعري والجمال التعبيري.